3me Année, No. 113.

Lundi-2-9-1935

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | في مصر والسودان |
| ٨٠ | في الأقطار العربية |
| ١٠٠ | في سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | في العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع للبدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١١٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ — ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــدد


| صفحة | | |
|---|---|---|
| ١٤٠١ | مصر والأمم الشرقية ... ... ... ... ... ... ... ... | |
| ١٤٠٣ | في الربيع الأزرق ... | : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي |
| ١٤٠٥ | عصبة الأمم ... ... | : باحث دبلوماسي كبير ... ... ... |
| ١٤٠٨ | بين تمثالين ... ... ... ... ... ... ... ... | |
| ١٤١٠ | كتاب في البزرة ... | : الأستاذ علي الطنطاوي ... ... |
| ١٤١٣ | في المكتب ... ... | : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني |
| ١٤١٥ | الدكتور محمد اقبال ... | : السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي |
| ١٤١٨ | حلم منتصف ليلة صيف | : محمد رشاد رشدي ... ... ... |
| ١٤٢٢ | أبو العتاهية ... ... | : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ... |
| ١٤٢٤ | الألم ... ( قصيدة ) | : الأستاذ خليل هنداوي ... ... |
| ١٤٢٥ | ظلماً على ظلماً « | : فريد عين شوكه ... ... ... |
| ١٤٢٦ | تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا ... ... | : الأستاذ خليل هنداوي ... ... |
| ١٤٢٩ | حروب طروادة (قصة) | : الأستاذ دريني خشبة ... ... |
| ١٤٣٣ | المحسن « | : الأستاذ محمد روحي فيصل ... |
| ١٤٣٤ | الهدية « | : الأستاذ بشير السريفي ... ... |
| ١٤٣٥ | جورج رسل عميد الشعر الارلندي . فكتور هوجو الصحفي | |
| ١٤٣٦ | آثار قديمة في سوريا . برنارد شو في الناصرة والسبعين حول كتاب قواعد التحديث للقاسمي . ملكة الجمال في سوريا ولبنان ... ... ... ... ... ... ... ... | |
| ١٤٣٧ | كتاب الأموال ... | : الأستاذ محمد بك كرد علي ... ... |


# مصر والأمم الشرقية

أثارت زيارة سمو الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية لمصر مسألة قديمة لا تزال منذ أعوام موضع الدهشة والتساؤل ، هي مسألة العلائق الرسمية بين مصر والمملكة السعودية ؛ فمصر لم تعترف حتى اليوم بصفة رسمية بالمملكة السعودية ، أعني بحكومة نجد والحجاز ، كما أن المملكة السعودية لا تعترف من جانبها بالدولة المصرية ؛ ولا توجد دولة أخرى من دول العالم لا تعترف بها مصر سوى روسيا السوفيتية

وقد كشفت الحفاوة الودية الرائعة التي استقبل بها الأمير سعود في مصر ، واشتركت فيها الحكومة بصفة غير رسمية ، عن مبلغ ما يعتور العلائق بين مصر والمملكة السعودية من شذوذ ونقص ؛ وكانت حماسة الأمة المصرية في استقبال ضيفها العظيم أكبر دليل على ما تكنه مصر للأمة العربية الشقيقة من صادق الحب والإخاء ، وعلى مبلغ ما تشعر به من بواعث الأسف لهذا الوضع الشاذ الذي ما زال يغشى هذه العلائق الرسمية بين الدولتين

لماذا لا تبادر مصر بالاعتراف بالحكومة السعودية ، وقد

اعترفت بها دول العالم جميعاً ؟ هذا ما نتساءل عنه منذ أعوام . إن مصر تستطيع أن تبرّر عدم اعترافها بروسيا السوفيتية ، وهي الدولة الوحيدة الأخرى التي لا تعترف بها ، بما شاءت من الحجج والمعاذير ؛ ولكن موقفها من المملكة السعودية مما يصعب فهمه وتعليله . و إذا لم يكن ثمة موضع للتحدث عن التبعات في هذا المقام ، فانه مما يجدر ذكره أن جلالة ابن السعود قد أبدى في كل فرصة استعداداً يحمد لتنظيم العلائق بين مملكته و بين المملكة المصرية . وقد تكون ثمة مسائل وتفاصيل لا بد من تسويتها لإقامة الروابط الرسمية بين الحكومتين على أسس وطيدة مرضية ؛ ولكنا لا نعتقد أن هذه المسائل من الخطورة بحيث يتعذر تذليلها وحلها

ولسنا في حاجة لأن ننوه في هذا المقام بما يجمع بين الأمتين من الروابط التاريخية القديمة ، ولا بما يوثق بينهما من أواصر الدم والدين واللغة ومختلف المصالح المعنوية والمادية ؛ و إذا كان مما يدعو إلى الغبطة أن الأمتين رغم هذا الشذوذ القائم في علاقتهما الرسمية ، تقدر كلتاهما واجبها نحو الأخرى ، وتعاملها معاملة الأخت الشقيقة ، بل وتبعث إليها بممثل غير رسمي يتمتع فعلاً بجميع المجاملات الممكنة ، فإنه لابد من تتويج هذه الحالة الفعلية القائمة بالصفة الرسمية الصريحة حتى يزول كل ريب والتباس في علائق الدولتين

* * *

وثمة ملاحظة أخرى في موقف مصر من الأمم الشرقية الشقيقة هي تصرفها في مسألة تبادل التمثيل السياسي مع أفغانستان ؛ فقد أنشأت أفغانستان لها في مصر منذ أعوام مفوضية خاصة و بعثت إليها بوزير مفوض ؛ ولبثت أفغانستان تنتظر مدى أعوام أن تعاملها مصر بالمثل ، وأن تقوم في كابول مفوضية مصرية يتولى أمرها وزير مصري مفوض ؛ ولكن الحكومة المصرية رأت أخيراً أن تكتفي بأن تنشئ في كابول مفوضية اسمية يتولى أمرها « قائم بالأعمال » وأن تسند إلى وزير مصر المفوض في طهران ، فاضطرت الحكومة الأفغانية إزاء ذلك أن تلغي مفوضيتها في مصر ، وأن تبعث بوزيرها المفوض إلى جهة أخرى ، وأن تكتفي كالحكومة المصرية بمفوضية اسمية يتولاها « قائم بالأعمال » وتسند إلى وزير أفغانستان المفوض في تركيا

وهذه نتيجة يؤسف لها ؛ خصوصاً إذا ذكرنا أن مصر في الوقت الذي تقدم فيه على هذا التصرف إزاء أفغانستان ، وفي الوقت الذي تكتفي فيه بأن يمثلها في العراق « قائم بالأعمال » ، تنشئ لها مفوضية جديدة في النمسا يتولاها وزير مفوض خاص

* * *

هذه مآخذ في سياسة مصر الخارجية نحو الأمم الشرقية ، كنا نود أن تنزه عنها وأن ترتفع فوقها ؛ فمصر وحدة بارزة في هذه الكتلة الشرقية التي تضطرم اليوم بروح جديدة ، وتحفزها آمال وأماني مشتركة ، وتجمع بينها جميعاً صلات التاريخ والأجيال ، وسياسة مصر نحو هذه الأمم الشقيقة يجب أن تقوم على اعتبارات معنوية سامية ترتفع فوق كل الاعتبارات المادية

ويجب أن تذكر مصر دائماً أنها تضطلع بتبعات خاصة نحو العربية والاسلام ؛ فهي تحمل رسالة الثقافة العربية ، و إليها تتجه أنظار الأمم العربية ، تقفو أثرها وتتعاون معها في إحياء الآداب العربية ، ثم هي تحمل زعامة الاسلام الدينية والاجتماعية ، و إليها تتجه أنظار الأمم الاسلامية لتتعاون معها في حماية التراث الاسلامي المشترك ؛ وفي تضامن مصر مع الأمم العربية والاسلامية في صوره الممكنة قوة لا يستهان بها ؛ وهذا المركز الخاص الذي تتبوأه مصر بين الأمم العربية والاسلامية يحتم عليها أن تكون قدوة في حسن التفاهم مع هذه الأمم الشقيقة التي تلتف حولها وتحبوها بعطفها وتقديرها

فهل لنا أن نؤمل أن تتجه سياسة مصر الخارجية إلى تقدير هذه العوامل والاعتبارات الخطيرة ؟ وهل نشهد في القريب العاجل عقد معاهدة الصداقة المصرية الحجازية ؟ هذا ما نرجو لخير مصر ، وخير العروبة والاسلام

« * * * »

# في الربيع الأزرق (١)

## خواطر مرسلة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ما أجملَ الأرضَ على حاشيةِ الأزرقَيْن البحر والسماء ؛ يكادُ الجالسُ هنا يظنُّ نفسَه مرسوماً في صورة إلهية

* * *

نظرتُ إلى هذا البحر العظيم بعيني طفلٍ يتخيل أن البحر قد مُلِيءَ بالأمس ، وأن السماءَ كانت إناءً له ، فانكفأ الإناءُ فاندفق البحر ؛ وتَسرَّحْتُ مع هذا الخيال الطفليِّ الصغير فكأنما نالني رشاشٌ من الإناء . . . .

إننا لن ندركَ روعةَ الجمال في الطبيعة إلا إذا كانت النفسُ قريبةً من طفولتها ، ومرَح الطفولة ، ولعبها ، وهَذَيانها

* * *

تبدو لك السماءُ على البحر أعظمَ مما هي ، كما لو كنتَ تنظر إليها من سماءٍ أخرى لا من الأرض

* * *

إذا أنا سافرتُ جئتُ إلى البحر ، أو نزلتُ بالصحراء ، أو حللتُ بالجبل ؛ شعرتُ أولَ وهلةٍ من دهشة السرور بما كنت أشعر بمثله لو أن الجبلَ أو الصحراءَ أو البحرَ قد سافرت هي وجاءت إليَّ

* * *

في جمال النفس يكون كلُّ شيء جميلا إذ تُلقي النفسُ عليه من ألوانها ، فتنقلب الدارُ الصغيرةُ قصراً لأنها في سَعَة النفس لا في مساحتها ، وتَعرفُ لنور النهار عذوبةً كعذوبة الماء على الظمأ ، ويظهر الليل كأنه معرضُ جواهر أقيم للحُور العين في السماوات ، ويبدو الفجرُ بألوانه وأنواره ونسائمه كأنه جنةٌ سابحة في الهواء

في جمال النفس ترى الجمالَ ضرورةً من ضرورات الخليقة وَيَ كأن الله أمرَ العالَم ألا يعبسَ للقلب المبتسم

* * *

أيامُ المَصِيف هي الأيامُ التي ينطلق فيها الانسانُ الطبيعيُّ المحبوسُ في الانسان ؛ فيرتدُّ إلى دهره الأول دهر الغابات والبحار والجبال

إن لم تكن أيامُ المصيف بمثل هذا المعنى ، لم يكن فيها معنى

* * *

ليست اللذة في الراحة ولا الفراغ ، ولكنها في التعب والكَدْح والمشقة حين تتحولُ أياماً إلى راحة وفراغ

* * *

لا تتمُّ لذةُ الانتقال من بلد إلى بلد ، إلا إذا انتقلت النفس من شعور إلى شعور ؛ فاذا سافر معك الهمُّ فأنت مقيمٌ لم تبرحْ

* * *

الحياةُ في المصيف تثبت للانسان أنها إنما تكونُ حيث لا يُحْتَفَلُ بها كثيراً

* * *

يشعر المرءُ في المُدُن أنه بين آثار الانسان وأعماله ، فهو هناك في رُوح العَناء والكَدْح والنزاع ؛ أما في الطبيعة فيحُسُّ أنه بين الجمال والعجائب الإلهية ، فهو هنا في رُوح اللذة والسرور والجلال

* * *

إذا كنت في أيام الطبيعة فاجعل فكرك خالياً وفَرِّغْه للنَّبت والشجر ، والحجَر والمَدَر ، والطير والحيوان ، والزهر والعُشْب ، والماء والسماء ، ونورِ النهار وظلام الليل ، حينئذ يفتح لك العالَم بابَه ويقول : ادخل

* * *

لطْفُ الجمال صورةٌ أخرى من عظَمَة الجمال ؛ عرفتُ ذلك حينما أبصرتُ قطرةً من الماء تلمعُ في غصن ، فخُيِّل إليَّ أن لها عظمة البحر لو صَغُر فعُلِّق على ورقة

* * *

في لحظة من لحظات الجسد الروحانية ، حين يفورُ شِعرُ الجمال في الدم — أطلتُ النظرَ إلى وردة في غصنها زاهيةٍ ، عطرة ، متأنقة ، متأنثة ؛ فكدت أقول لها : أنتِ أيتها المرأة ، أنت يا فلانة . . .

* * *

أليس عجيباً أن كل انسان يرى في الأرض بعض الأمكنة

---

(١) هذه تسمية جديدة للمصيف على ساحل البحر

كأنها أمكنةٌ للروح خاصة ؛ فهل يدلّ هذا على شيء إلا أن خيالَ الجنة منذ آدمَ وحوّاء ، لا يزال يعمل فى النفس الانسانية ؟

* * *

الحياةُ فى المدينة كشرب الماء فى كوب من الخزف ؛ والحياة فى الطبيعة كشرب الماء فى كوب من البلّور الساطع ؛ ذاك يحتوى الماءَ وهذا يحتويه ، ويُبدى جمالَه للعين

* * *

وا أسفاه ، هذه هى الحقيقة : إن دقّةَ الفهم للحياة تُفسدها على صاحبها كدقة الفهم للحب ؛ وإن العقل الصغير فى فهمه للحب والحياة ، هو العقلُ الكاملُ فى التذاذه بهما . وا أسفاه ، هذه هى الحقيقة

* * *

فى هذه الأيام الطبيعية التى يجعلها الصيفُ أيامَ سرورٍ ونسيان يشعرُ كلُّ إنسان أنه يستطيع أن يقول للدنيا كلمةَ هزلٍ ودُعابة . . .

* * *

من لم يرزق الفكرَ العاشقَ لم ير أشياءَ الطبيعة إلا فى أسمائها وشيآتها ، دون حقائقها ومعانيها ؛ كالرجل إذا لم يعشق رأى النساء كلَّهن سواءً ؛ فاذا عشق رأى فيهن نساءً غير من عرف ، وأصبحن عنده أدلةً على صفات الجمال الذى فى قلبه

* * *

تقوم دنيا الرزق بما تحتاجُه الحياة ؛ أما دنيا الصيف فقائمةٌ بما تلذُّه الحياة ؛ وهذا هو الذى يغير الطبيعة ويجعلُ الجوَّ نفسه جوَّ مائدة ظُرفاء وظريفات . . .

* * *

تعمل أيامُ الصيف بعد انقضائها عملاً كبيراً ، هو إدخالُ بعض الشعر فى حقائق الحياة

* * *

هذه السماءُ فوقنا فى كل مكان ، غير أن العجيبَ أن أكثر الناس يرحلون إلى المصايف ليروا أشياءَ منها السماء . . .

* * *

إذا استقبلتَ العالم بالنفس الواسعة رأيتَ حقائقَ السرور تزيد وتتسع ، وحقائق الهموم تصغُرُ وتضيق ، وأدركتَ أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيّقُ لا هى

* * *

فى الساعة التاسعة أذهبُ إلى عملى ، وفى العاشرة أعملُ كيت ، وفى الحادية عشرة أعملُ كيتَ وكيت ؛ وهنا فى المصيف تفقد التاسعةُ وأخواتُها معانيَها الزمنيةَ التى كانت تضمها الأيامُ فيها ، وتستبدلُ منها المعانىَ التى تضمها فيها النفسُ الحرة

هذه هى الطريقة التى تُصنع بها السعادةُ أحياناً ؛ وهى طريقة لا يقدر عليها أحدٌ فى الدنيا كصغار الأطفال

* * *

إذا تلاقى الناسُ فى مكان على حالة متشابهة من السرور وتوهمه والفكرة فيه ؛ وكان هذا المكانُ مُعَدّاً بطبيعته الجميلة لنسيان الحياة ومكارهها — فتلك هى الرواية وممثلوها ومسرحها (١) أما الموضوعُ فالسخريةُ من إنسان المدنية ومدنية الانسان

* * *

ما أصدق ما قالوه : إن المرئىَّ فى الرائى . مرضتُ مدةً فى المصيف ، فانقلبت الطبيعةُ العروسُ التى كانت تزينُ كل يوم إلى طبيعة عجوز تذهب كل يوم إلى الطبيب . . .

شاطىء سيدى بشر ( اسكندرية ) مصطفى صادق الرافعى

(١) يظن صديقنا العلامة الكبير الأمير شكيب أرسلان أن المسرح لدار التمثيل غير صحيح . وأن صوابها المزرح ولكن الصاحب بن عباد استعملها فى قريب من معنى دار التمثيل وأصلها من مرادفات ندى القوم ومجتمعهم

الى الاستاذ ف . ط . بدمشق

لا أستطيع أن أشكرك بما أنت أهله وأرجو بعون الله وتيسيره أن أكون عند ظنك ، ولكن احذرى هذا الوهم الكبير ، وهم المثل الأعلى ، فكل الرجال مثل أعلى فى أول الرواية . . . الرافعى

ظهر حديثاً :

## فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد

حول النزاع الايطالي الحبشي

# عصبة الأمم

## وما تستطيع أن تفرضه من العقوبات

بقلم باحث دبلوماسي كبير

تعاني عصبة الأمم أزمة دقيقة من جراء تعرضها للنزاع بين ايطاليا والحبشة ؛ ولم يكن في وسع العصبة أن تقف جامدة أو أن تتنحى عن بحث مشكل يقع في صميم اختصاصها بمقتضى « الميثاق » وتثيره دولتان كلتاهما عضو في العصبة ، وعصبة الأمم تعرف منذ البداية أنها تواجه في المشكلة الايطالية الحبشية أزمة خطيرة ، بل تواجه محنة قد يقوض الفشل في درئها صرح العصبة ، وكل المبادئ الدولية التي يقوم عليها ، وتعرف منذ البداية أيضاً أنها لن تستطيع أن تقوم في معالجة هذه الأزمة بدور فعال ، أو بإجراء حاسم ، ولكنها أيقنت في نفس الوقت أن قليلاً من الشجاعة في مواجهة الموقف ، وأن تطبيق بعض الاجراءات النظرية التي ينص عليها ميثاق العصبة في مثل هذه الأحوال ، وأخيراً أن محاولة اكتساب الوقت في بعض المجادلات الفقهية قد تنتهي بانقاذها من مأزق الحياة والموت

وقد أبدت العصبة هذا القليل من الشجاعة فاستمعت إلى نداء الحبشة في بحث النزاع ، وإن لم تبحثه إلا في الحدود الضيقة التي ارتضتها ايطاليا ، وسعت إلى تطبيق المادة الثالثة عشرة من الميثاق ، واتفق الطرفان على محاولة اجراء نوع من التحكيم ، وألفت بالفعل لجنة تحكيم مشتركة تمثل الفريقين المتنازعين ؛ ولكن الحوادث تطورت بسرعة ، وأكدت ايطاليا وما تزال تؤكد بعنجهية الصراحة أنها لا تبغي بديلا بافتتاح الحبشة والاستيلاء عليها ، وأنها سوف تلجأ لتحقيق غايتها بالقوة القاهرة ، وأنها لن تني عن مشروعها أمام أي تدخل أو أية قوة في العالم ؛ وهكذا تحطمت جميع الآمال التي علقت على تدخل العصبة ، وعلى لجنة التحكيم ، ولن يحول دون اضطرام الحرب في شرق أفريقية سوى معجزة ، أو تطور في الحوادث لا يخطر ببال انسان ، ولن تحدث هذه المعجزة أو هذا التطور الخارق

ونحن نعرف كيف حاولت السياسة البريطانية جهد استطاعتها أن تحول دون اضطرام الحرب في هذه المنطقة التي تجاور عدة من الأملاك البريطانية ، ويهدد حلول ايطاليا فيها وادي النيل من منبعه إلى مصبه ، ويضع السودان ومصر في مأزق خطر ، ويجعلهما عرضة لأخطار النزعة الاستعمارية التي تضطرم بها ايطاليا ، ويهدد من جهة أخرى مواصلات الامبراطورية البريطانية في البحر الأحمر ، وفي عدن وباب المندب بصفة خاصة ؛ ولكن السياسة البريطانية لم توفق رغم ما بذلته من الجهود وما عرضته من الحلول إلى اقناع السياسة الايطالية الجامحة المتوثبة بالعدول عن مطامعها وأحلامها العريضة في اقامة امبراطورية استعمارية ضخمة في شرق أفريقية

والآن ، وقد فشلت كل محاولة للتسوية السلمية ، ولم يبق سوى اضطرام هذه الحرب الهمجية التي تصر الفاشستية على اضرامها تحقيقاً لمطامعها ومشاريعها المثيرة في افتراس الشعوب الآمنة ، تحاول السياسة البريطانية أن تجد سبيلاً لمقاومتها وتحطيم مشاريعها ، لا حباً بالحبشة ، أو نصرة لقضية السلام في ذاتها ، ولكن توسلا إلى درء الأخطار التي تتهدد سيادتها ومصالحها الامبراطورية في البحر الأبيض المتوسط وفي شرق أفريقية إذا استطاعت الفاشستية أن تفوز بغيتها في افتتاح الحبشة . وقد تستطيع السياسة البريطانية أن تشل حركة الفاشستية ببعض الاجراءات والمساعي التمهيدية ، وقد لا تحجم عن أن تخوض معها غمار الحرب إذا لم تجد مناصاً من خوضها

ومن هذه الاجراءات والمساعي التمهيدية التي تفكر انكلترا في التذرع بها لرد الفاشستية عن عدوانها ، محاولة توقيع العقوبات الدولية التي ينص عليها ميثاق عصبة الأمم . وقد كثرت الاشارة أخيراً إلى هذه العقوبات ومداها ومبلغ ما ينتظر من تأثيرها إذا طبقت . ولهذا نرى مناسبة لأن نتناولها بشيء من الشرح والتفصيل ، فنقول إن المادة ( ١٥ ) من ميثاق العصبة تنص على الاجراءات والقرارات التي يمكن اتخاذها لتسوية المنازعات الدولية التي قد تقع بين أعضاء العصبة عن يد العصبة

ذاتها وما يمكن أن يقوم به مجلس العصبة فى هذا السبيل . وتنص المادة التالية أى المادة (١٦) على العقوبات الدوليـة التى يمكن توقيعها على الدولة التى تخالف تعهداتها وتلتجئ إلى الحرب ، وإلى القارئ نص هذه المادة الشهيرة كاملاً :

« إذا التجأ عضو من أعضاء العصـــبة إلى الحرب خلافاً للتعهدات المنصوص عليها فى المادتين ١٢ و ١٣ أو المادة ١٥ ، فانه يعتبر فعلاً قد ارتكب عملا حربياً ضد كل أعضاء العصبة الآخرين . ويتعهد هؤلاء أن يقطعوا فى الحال معه كل علائقهم التجارية والمالية ، وأن يحظروا كل علائق بين رعاياهم وبين رعايا الدولة التى خرقت الميثاق ، وأن يقطعوا كل المواصلات المالية والتجارية والشخصية بين رعايا هـذه الدولة وبين رعايا أية دولة أخرى سواء أكانت عضواً فى العصبة أم لا

« وفى هـذه الحالة يجب على المجلس ( مجلس العصبة ) أن يوصى إلى الحكومات المختلفة ذات الشأن بتقديم القوى العسكرية أو البحرية أو الجوية التى يساهم أعضاء العصبة فى تقديمها للقوى المسلحة التى تقوم بالعمل على احترام تعهدات العصبة

« ويتعهد أعضاء العصبة أيضاً أن يعاونوا بعضهم بعضاً فى تطبيق الاجراءات الاقتصادية والمالية التى تتخذ طبقاً لهذه المادة والتى يراد بها أن تخفض إلى أدنى حد ما يمكن أن يترتب عليها من الخسائر والمضار . ويتعهدون بالتعاون أيضاً فى مقاومة كل إجراء خاص يوجه إلى أحدهم من جانب الدولة التى خالفت الميثاق ؛ ويتخذون الاجراءات اللازمة لكى يسهل المرور فى أراضيهم لقوات أى عضو من أعضـاء العصبة يساهم فى العمل المشترك الذى يقصد به العمل على احترام تعهدات العصبة

ويمكن أن يفصل من العصبة كل عضو ينتهك أحد التعهدات المترتبة على هذا الميثاق . ويصدر قرار الفصل بموافقة جميع أعضاء العصبة الآخرين الممثلين فى المجلس »

هذا هو مجمل الاجراءات التى سجلها ميثاق العصبة لتوقيع العقوبات الدولية على العضو المعتدى أو المنتهك لميثاق العصبة . وظاهر أن هـذه العقوبات ذات صبغة اقتصادية محضة ؛ ويمكن وصفها بأنها نوع من الحصار الاقتصادى . ولهذا الحصـار الاقتصادى إذا طبق على دولة من الدول أكبر الأثر فى الضغط عليها وشل مشاريعها العسكرية ، خصوصاً إذا كانت مثل إيطاليا تعتمد على الخارج فى كثير من المواد الأولية الأساسية . بيد أن هذه النصوص التى سجلتها عصبة الأمم فى ميثاقها لا تزال نظرية محضة ، ولم يجر تطبيقها حتى اليوم بصورة فعلية ، وإن كان ذكرها قد جرى فى بعض الأزمات الدولية ، ولا تزال أكبر نقطة ضعف فيها خلوها من أى ضمان فعلى للتنفيذ ؛ فليست لعصبة الأمم أية قوة أو أية سلطة فعلية تمكنها من تطبيق مثل هذه العقوبات ، وليس فى وسع مجلس العصبة إلا أن « يوصى » إلى الحكومات ذات الشأن بتقديم القوى اللازمة ، فاذا رفضت هذه الحكومات أن تقدم هـذه القوى ، فماذا عسى أن يستطيع مجلس العصبة إزاء الدولة « المعتدية » ؟ هذا ومن جهة أخرى فان صفة « الاعتداء » لم تعرف حتى اليوم تعريفاً كافياً ؛ وربما كان من الميسور أن يعرف « المعتدى » حالاً فى مسألة النزاع الايطالى الحبشى ، إذ لا ريب فى أن « المعتدى » هو إيطاليا ؛ ولكن ليس من السهل فى كثير من المنازعات الدولية أن يقطع فى أمر « المعتدى » قطعاً لا مرية فيه

وقد كان هـذا النقص فى ضمان التنفيذ وما زال أعظم نقط الضعف فى مواثيق السلام والتحكيم الدولية ، وهو أعظم نقط الضعف فى ميثاق تحريم الحرب ( ميثاق كلوج ) الذى اغتبط لعقده أنصار السلام أيما اغتباط ، ثم لم يلبث أن ظهر عقمه حين الحاجة الى تطبيقه . وقد كان اعتداء اليابان على منشوريا أعظم صخرة ارتطم بها ميثاق عصبة الأمم وميثاق تحريم الحرب . والآن يبدو عقم هذه المواثيق الدولية مرة أخرى إزاء النزاع الايطالى الحبشى ؛ وحيثما كان الفريق الأقوى يعتبر المواثيق الدوليـة قصاصات لا قيمة لها ، كما هو الشأن فى حالة إيطاليا التى ترتبط مع الحبشة ومع فرنسا وانكلترا بأكثر من معاهدة لاحترام استقلال الحبشة وسلامة أراضيها ، فان المناقشات الفقهية فى احترام مواثيق السلام لا تجدى ما لم تكن مؤيدة بالقوى الفعلية لتنفيذها

ولكن السياسة الانكليزية ما زالت تعول على دستور عصبة

الأمم فى سعيها لرد عدوان السياسة الفاشستية . وهى تشير إلى مسألة العقوبات الاقتصادية التى نصت عليها المادة السادسة عشرة كوسيلة من وسائلها . والواقع أنه ربما كان لهذا السعى أثره المادى إذا أيدته الدول . فقد حدث فى سنة ١٩٢١ ، حين غزت يوجوسلافيا الأراضى الألبانية ، أن هددت عصبة الأمم بتطبيق العقوبات الاقتصادية ، فكان ذلك كافياً لوقف الاعتداء . وقد عجزت العصبة فى سنة ١٩٢٣ أن ترد السنيور موسوليني عن احتلال جزيرة كورفو اليونانية تنفيذاً للبلاغ النهائى الذى وجهه إلى اليونان ، ولكنها استطاعت بعد ذلك بعامين أن تحول دون اضطرام الحرب بين اليونان وبلغاريا من جراء النزاع بينهما على الحدود . وقد فطنت عصبة الأمم نفسها إلى هذا النقص الذى يعتور نص المادة (١٦) ، وبحثت فى أمره ، وقررت فى شأنه بعض التعديلات التى من شأنها أن تسهل الاجراءات فى حالة الأزمات الخطيرة ؛ ويقضى هذا التعديل « بأنه يجب على مجلس العصبة أن يقرر ما إذا كانت قد ارتكبت مخالفة للميثاق » ولكن العصبة صرحت أيضاً أن المجلس لا يستطيع أن يفعل أكثر من أن يدعو الأعضاء إلى تطبيق العقوبات الاقتصادية ، وقد يستطيع بعد ذلك أن يطالب الدول بتقديم المعاونة العسكرية التى يمكن استخدامها ضد الدولة المعتدية . بيد أن هذا التعديل لم تصادق عليه الأغلبية المطلوبة من الأعضاء حتى اليوم

وقد تستطيع السياسة الانكليزية أن تقنع عصبة الأمم بتوقيع العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، وهذا الاقناع ميسور إذا استطاعت أن تجذب السياسة الفرنسية إلى جانبها وأن تقنعها بضرورة العمل معها لدرء الأخطار التى تهددها وتهدد أوربا من جراء الحرب التى تعمل الفاشستية لاضرامها . وعندئذ يمكن أن تؤدى انكلترا فى هذا الحصار الاقتصادى الذى ينص عليه ميثاق العصبة أكبر دور ، هذا فضلاً عن الدور الذى تؤديه باقى الدول المؤيدة لانكلترا ضد ايطاليا ، وذلك بقطع المواد الأولية عن ايطاليا ورفض التعامل معها فى كل ما يمكن أن يسهل استعداداتها الحربية ؛ أما انكلترا ففى وسعها أولاً أن تلجأ إلى اغلاق قناة السويس بالاستناد إلى نص المادة (٢٠) من ميثاق العصبة ، وهى التى تنص على الغاء جميع المعاهدات السابقة التى لاتتفق مع نصوص الميثاق وغاياته ، باعتبار أن معاهدة سنة ١٨٨٨ التى تضمن حيدة القناة وفتحها فى كل وقت من أوقات السلم أو الحرب ولسفن جميع الدول أضحت مناقضة لميثاق العصبة ، وهذا ما تنكره ايطاليا على انكلترا كل الانكار ، لأن معاهدة سنة ١٨٨٨ ماتزال قائمة فى نظرها ويجب احترامها طبقاً لنص المادة ٢٨٢ من معاهدة فرساى ( بند ١١ ) ، حيث ينص على تمداد المعاهدات التى تبقى نافذة المفعول مع ألمانيا ، وميثاق عصبة الأمم ليس إلا فصلا من فصول معاهدة فرساى . وفى وسع انكلترا أن تلجأ أيضاً إلى إغلاق جبل طارق فى وجه السفن الايطالية ، كما أنها تستطيع أن تغلق فى وجهها بوغاز باب المندب فتقطع بذلك على إيطاليا كل سبيل للاتصال بالأرترية أو الصومال . على أن إيطاليا ترى فى هذه التصرفات كلها أعمالاً عدائية وإعلان حرب تقابله بالمثل ، ومن المحقق أن انكلترا ستفكر طويلا قبل أن تقدم على شىء منها

وهناك مسألة تصدير السلاح إلى الحبشة ، وهذه أيضاً وسيلة ناجعة فى يد انكلترا ؛ وقد ألغى تصدير السلاح إلى الحبشة مؤقتاً فى انتظار نتيجة المساعى السلمية ، فاذا أصرت إيطاليا على موقفها ، وهو الأرجح ، فان انكلترا ستعود إلى تصدير السلاح إلى الحبشة ؛ وتزويد الحبشة بالسلاح يطيل أمد الحرب ، ويزيد فى متاعب إيطاليا إلى حدود قد لا تقوى على مغالبتها

وسنرى على أى حال ما إذا كانت عصبة الأمم ، أو بعبارة أخرى ما إذا كانت الدول التى تسيطر على مجلس العصبة ، تستطيع فى هذه الدورة القريبة التى ستعقد بعد يوم أو اثنين ، أن تذهب فى الشجاعة والحزم إلى حد المطالبة بتوقيع العقوبات على إيطاليا

(***)


## مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية ( فى مجلدين ) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

# بين ثقافتين

يتّجه الناقد الأدبي بنظره الى مختلف النوازع الفكرية والمتّجهات الأدبية في هذا البلد ، فلا يلبث أن يرتدّ اليه الطرف حيران ؛ فما نستطيع أن ندّعي عن يقين أن لهذا العصر اتجاهاً أدبياً يُنسب اليه ويعرف به ويتسم بطابعه . ولكنها تيارات مختلفة يتنازعها الضعف والوهن ، وتتوزّعها الأهواء والشِّيَع ؛ وبين دُعاة الجديد وأنصار القديم حرب مشبوبة ومعركة هدّامة ، لا نراها سيُؤْذَن لها أن تهدأ فتستقرّ إلا أن نعرف مدى هذا الجديد ، وماهيّة ذلك القديم

ولن يتأتى لنا أن نعرف ذلك أيضاً ، ما دامت مناهج الدراسة الأدبيّة في مصر لا نعرف لها مُتّجهاً ومذهباً ، وعندنا عديدٌ من معاهد الأدب ، يذهب كل منها مذهباً في تخريج طُلاّبه ، ويُمثّل في منهاجه الدراسيّ صورة مصغرة للصراع الأدبي المختلف النزعة والاتجاه بين أدبائنا الكبار !

فعندنا الأزهر ، قديمٌ موغلٌ في القدم ، لا يرى العلم والأدب والثقافة إلا كما كان يراها القُدامى الأوّلون من علمائه ؛ وهو مذهبٌ في الاعداد الأدبيّ له قيمته وأثره ، ولكن له إلى جانب ذلك عيوبه وخطره — وما نعني الأزهرَ الجديد الذي يخطو اليوم الى التجديد خُطاه الأولى ، بحنكة شيوخه وهمة شبابه ، فانه ما يزال على الطريق ، ولا نعرف أين تستقر به الغاية من الهدف الذي يرمي اليه

ولو أنا تركنا الأزهر ووليّنا النظرَ شطر الجهة الأخرى ، لرأينا منهجاً جديداً في كلية الآداب ، بينه وبين منهج الأزهر ما بين طرفيْ خيطٍ طويل يصل أول التاريخ بما بعد التاريخ ؛ فهناك القديم الغارق في القدم ، كأنما يحاول أن يقف خَطْوَ الزمان ، وهنا الجديد الغالي في الجِدّة ، كأنما يحاول أن ينسلخ من ماضي التاريخ . وهناك في الأزهر يُدرَّس القديم ويُعنى بالقديم ، بعيداً من روح العصر وسنّة التطور ؛ وهنا في كلية الآداب يُحاوَل الجديد من غير أن يستند إلى أساس من العلم القديم ، وهو بذلك كذلك ، بعيدٌ من روح العصر وسنة التطور ؛ ومن ثمّ ترى في أكثر ما ينتج أدباؤنا لهذا العهد نوعين من الأدب ، لو وضعت أولهما في الذروة من بلاغة الوضع وحسن الأداء ، لوضعت ثانيهما في المنحدَر ؛ على أنك لو نظرت إليهما من ناحية الموضوع والفكرة لجعلت أعلاهما أسفل وصعدت بالثاني ... ولكنك لن تجد في واحد منهما — على الأكثر — ما يبعثك على الاعجاب بالفكرة والأسلوب معاً ، ومن هنا لا ترضى عن أحدهما في ناحية إلاّ أغضبك في الأخرى ، ومنه جاءت الدَّعْوَيان اللتان تسمعهما دائماً عند ما يستحرُّ الجدل بين دعاة الجديد وأنصار القديم : « هذا أدب فارغ أكثر عنايته بأسلوب الأداء دون المعنى » أو « هذا أدبٌ ساقط يَتحَيَّفُ اللفظة ويُهمل الجمال الفنّي في اللفظ »

وكلتا هاتين الدعوَيين صادقة من وجه ؛ لأن الأدب فكرةٌ وبيان ، لا يتم تمامه إلا بهما معاً ؛ وأنت قلما تجد بين الكاتبين والشعراء من أدبائنا من يجمع إلى جمال الفكرة جمالَ الأسلوب

* * *

ولو قد تركنا الأدب في ناحية وأردنا أن نعرف اتجاه الثقافة في مصر بوجهٍ عامّ ، وأثر ذلك في أخلاق أبنائها وفي المُثُل العليا التي ينشدونها — لوجدنا مثلَ هذا الاضطراب وتلك الفوضى ، ففي الأزهر ثقافة دينية ، ولكنها جامدة لا تتطور ، واقفة لا تتحرك ، مغلّقة من دونها الأبواب فلا تؤثر تأثيرها إلا في أبناء الأزهر وحدهم ، أو في المحيط الضيّق الذي يضطربون فيه من قُراهم

على أن في جمود الأزهر مدى طويلاً ، قطعاً بين الازهريين وبين عصرهم ، ومن ثَمّ أخذت الثقافة الدينية تتقلّص رويداً رويداً ، حتى غدت مقصورة على طائفة قليلة من أبناء الريف ، وبدأ تأثير الأخلاق ينحصر تبعاً لذلك حتى نوشك بعد قليل ألا نرى أثراً له في نفوس الكهولة والشباب منا

إلى جانب ذلك أخذت الثقافة المدنية في مدارس التعليم العام تفتن أبناءنا بالمناصب والوظائف والسلطان المرموق ، فاتجهوا إليها بعقولهم وأفرغوا لها أنفسهم ، حتى ما يكاد أبٌ يفكر في تعليم بنيه وبناته إلا ذهب إلى هذه المدارس المدنية

ومنهاج التعليم في هذه المدارس هو ما نعرف ، وهو ما يشكو منه واضعوه والقائمون عليه ، ولعل شر عيوبه أنه لا يرمي إلى غرض عام من أغراض التربية الصالحة ، وأنه يُعنَى أكثرَ ما يُعنَى بتلقين المعلومات وتحفيظ النظريات ، فلا الدين ، ولا القومية ، ولا الأخلاق ، ولا المُثُلَ العُليا ؛ ومن ثَمّ كانت القومية المريضة ، والدين الزائف ، والأخلاق المنحلّة ، والأمثلة الدُّنيا

هذان نوعان من التربية وأساليب التعليم في مصر ، يكاد

الشعب بهما أن يكون طائفتين مختلفتي الخلق والثقافة والتفكير كأنما تعيشان في عصرين مختلفين ، وهاتان الطائفتان من متعلمينا وهذان المذهبان في التربية المصرية ، هما اللذان يكشفان عن سرّ الاضطراب في الثقافة المصرية ، كما يكشفان عن مقدار الفوضى في اتجاهنا الأدبي

وإننا بسبيل هذا البحث لنحاول أن نتعرّف أي هذين المذهبين ستكون له الغلبة ، وأيّ هاتين الثقافتين أجدر بالبقاء ؟

* * *

إن تيار العصر يجرفنا في مَسراه فما يدع لنا الفرصة أن نتلبّث قليلاً لنعرف موقفنا ، على أن كلتا التربيتين لا تجديان علينا الجدوى التي تقرّبنا إلى المثل الأعلى الذي ننشده ؛ ولسنا نستطيعين أن نظل أبداً نحلم بالماضي والحياةُ تتقدم ، ولسنا بقادرين على أن ننسلخ من هذا الماضي ونخلع قوميتنا لنعدوَ في غبار الأوربيين ، فلا غنى لنا عن المزاوجة بين هاتين الثقافتين والمزج بينهما ، لنخرج من ذلك بمنهج تعليميّ صالح ، يحفظ علينا قوميتنا ، ويصل بين ماضينا والعصر الذي نعيش فيه

على أن فوضى الأدب ودعوى الجديد والقديم ، يجب أن ينتهيا إلى غاية ؛ فما في اللغة والأدب جديد ولا قديم ، وما حسنٌ أن نتنكر لتراث أدباء العربية الماضين بدعوى التجديد ، ولا أن ننكر حكمَ العصر وسنّة التطوّر بالدعوة إلى القديم ؛ فما ينهض هذا إلا بذاك ، وما يستطيع بأن يبنى على غير أساس ، ولا بدّ لمن يتهيأ لحمل رسالة الأدب لينشئ فيه الجديد الذي تُنصت له الدنيا ويفاخرُ به العصر ، أن يأخذ له عُدّته ويتزود بزاده : فيتوفّر على دراسة الأدب القديم ، ويستمع إلى أئمته ، ويروى عيونه ، ويستظهر من روائعه ، ثم يأخذ بسببٍ من كل علمٍ وفن مما يعرفه عصرُه ، فإذا اجتمعت له الأسبابُ واستكمل الأهبة ، عاد إلى دنياه التي يعيش فيها ، وإلى العصر الذي يتصل به ، وإلى الأحداث التي تنفعل بها نفسُه ، وإلى عواطفه التي انطبعت فيها صورة دنياه ؛ ثم ليُنشئ ما ينشئ ، فسيأتي بالجديد في الديباجة الصافية ، وبالمعنى البكر في العبارة المستقيمة ، وبالشعر الرائق في اللفظ الجزْل ، وبالفكر العميق في البيان الساحر

ولكن أين نجد هذا مما يدرس هنا وهناك ، وما نجد هنا وهناك إلا فكراً بلا بيان ، أو بياناً بلا فكر ؟ وما نرى هناك وهنا إلا رطانة مستعربة ، أو عربية فارغة ، نسميها الجديد والقديم !

* * *

على أن في مصر مدرسة تحمد أثرها ، ونذكر يدَها على الأدب والثقافة العربية ، هي مدرسة دار العلوم ، فهي الصلة بين الثقافتين ، والملتقى بين الغربيين ؛ جمع منهجها بين الثقافة العربية والاسلامية التي تدرس في الأزهر ، والثقافة المدنية التي تدرس في المدارس العامة ؛ فإلى جانب دراسة الدين ، ونصوص اللغة ، وتراث السلف من أدباء هذه الأمة وعلمائها — يدرس التاريخ ، والفلسفة ، وأشتات من الرياضة والعلوم والفنون والآداب ؛ فمن أجل ذلك كان لدار العلوم هذا الأثر القوي في النهضة الأدبية الحاضرة ، وكان لأبنائها السبق في كثير من ميادين الانتاج ؛ وأنت ترى فيما يبدعه الكتاب والشعراء من أبناء دار العلوم ، طابعا خاصا قلّما تراه فيما ينتجه غيرهم من الكتاب والشعراء ؛ ذلك لأنهم درسوا القديم دراسة روية وفهم ، وعاشوا في عصرهم كما يعيش أهله ؛ فلم ينسلخوا عن ماضي أمتهم ، ولم يتخلفوا عن عصرهم ، فكانوا بذلك صلة التاريخ بين ماضيه وحاضره

تلك شهادة الحق لهذه الدار التي أنشأها اسماعيل منذ ستين عاماً ونيف ، فنهضت بتبعاتها على أكمل وجه ، وأدت أمانة العلم أحسن أداء ، نذكرها لها منصفين في الوقت الذي تحاول فيه أحداث الزمان أن تنال منها وتنكر جدواها

على أن فضل هذه المدرسة ليس مقصوراً على أثرها في اللغة والدين ؛ فلعلها المدرسة الوَحدة التي تخرّج المدرسَ القويّ ، والمدرسُ في بلدنا — كمناهج التعليم في مدارسنا — لا يراد منه أن يمثل الروحَ القويّ أكثرَ مما يراد منه أن يكون مدرسَ مادة بعينها ، ولكن خريج دار العلوم بحكم ثقافته وتربيته ، هو وحده يمثل الروحَ القوميّ أصدقَ تمثيل ، بتربيته ، ودينه ، وخلقه ، ومكانه من زمانه ؛ فليت وزارة المعارف عرفت له ذلك فلا تدعه في هذه الدائرة الضيقة من برنامج عمله المحدود ، فإن مصر في حاجة إلى هذا الروح القوميّ ليبث في التلاميذ من أبنائها معنى القومية وينشئهم التنشئة القويمة التي تؤهلهم لحمل تبعات الجهاد في المستقبل القريب

ونحن مستيقنون أن دار العلوم يوم ينفسح لها الميدان لتؤدي رسالتها ويمكن لها لتنهض بما استعدت له ، ويزاد في مناهجها ما يؤهلها لأن تنظر في كل جديد فتتبع أحسنه — نكون قد عرفنا الاتجاه الأدبيّ الذي نسير اليه ، ورسمنا لنا في الثقافة منهاجاً صالحا ، لا يمكن للأجانب أن يغزونا في آدابنا وعقولنا ، بعد أن نالوا منالهم من أرضنا وأموالنا ؟

من تراثنا العلمي

# كتاب فى البيزرة

وصف وتحليل لنسخة فريدة من كتاب مفقود ، فى علم ضائع ، لمؤلف مجهول

## للأستاذ على الطنطاوى

البَيْزَرَة ( أو البَزْدَرَة ) : علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح من حيث حفظ صحتها ، وإزالة مرضها ، ومعرفة العلامات الدالة على قوتها فى الصيد ، وضعفها فيه — قاله فى كشف الظنون

والكلمة معرّبة ، وهى من قولهم « بَيْزار » معرّب « بازْدار » و « بازْيار » ، أى حافظ البازى وصاحبه ، والجمع « بيازرة » كما فى التاج واللسان ، قال الكُمَيْت :

كأن سوابقها فى الغبار صقور تمارض بزارها

وجاءت بالدال فى قول أبى فراس :

ثم تقدمت إلى الفهّاد والبازدار بين باستعداد

قال الشيخ داود الأنطاكى : وغايته اقتناص ما يشق اصطياده واللهو والرياضة ، وشرح الصدور ، وتسكين نحو الجنام والنقرس والمفاصل لتوالى الفرح ، وسكون الغضب الخ

وقد سموه علم البزدرة ( أو البيزرة ) ، إضافة له إلى أشرف أنواعه وأخفها ، وهى البزاة

ولخصه فى « التذكرة » فى مقدمة وثلاثة مباحث :

فالمقدمة فى كيفية اهتداء الناس إلى اتخاذ الطيور ، وأول متخذ لها ، وما هو المعتبر منها

والمبحث الأول فى كيفية الاستدلال على الجيّد منها باللون والصفة ، وفى ذكر طرق التعليم

والمبحث الثانى فى أوقات الارسال وكيفية الصيد ، واختلاف حال الطيور

والمبحث الثالث فى علامات الصحة والمرض وطب الجوارح

* * *

وقد كان هذا العلم مزدهراً معروفاً أيام عز العرب وازدهار مدنيتهم ، ثم ضاع فيما ضاع من تراث الأجداد ، وفقدت كتبه كلها ، ونسيه الناس ، فلم يكد يذكره أحد ممن ألفّ فى تاريخ الثقافة الاسلامية ، ولم يبق بين أيدينا من المراجع فى هذا العلم إلا هذا الفصل الذى كتبه الشيخ داود الانطاكى فى كتابه تذكرة أولى الألباب[1] وكلمة فى كشف الظنون للحاج خليفة[2] لاتعدو الأسطر الثلاثة ، نقلا عن جامع السعادة لكاشكرى زاده ، وكلمة فى مُعْجَم ( دائرة معارف ) البستانى تحت عنوان : بزدرة

على أن للمتقدمين كتباً كثيرة فى هذ العلم عدّ منها ابن النديم[3] فى الفهرست : كتاب الجوارح لمحمد بن عبد الله بن عمر البازيار ، وكتاب البزاة للفرس ، وكتاب البزاة للروم ، وكتاب البزاة للترك ، وكتاب البزاة للعرب ، وكتاب البزاة والنصب بها لأبى دلف العجلى[4] وسماه ابن خلكان[5] كتاب البزاة والصيد

ومن الكتب المؤلفة فى هذا العلم كتاب « القانون الواضح » ذكره فى كشف الظنون نقلا عن جامع السعادة لكاشكرى

(١) المعروف بتذكرة داود ، وهو داود بن عمر الأنطاكى ، طبيب ماهر ضرير ، لم يكن فى زمانه أعلم منه بالطب ، ولد فى أنطاكية وحفظ القرآن ، وقرأ المنطق والرياضيات وشيئاً من الطبيعيات ، وأحكم اليونانية ، وهاجر إلى القاهرة ونال بها شهرة ، ورحل إلى مكة فمات فيها سنة ١٠٠٨ هـ . تصانيفه كثيرة ، أهمها التذكرة ، وتزيين الأسواق فى الأدب ، وكفاية المحتاج فى علم العلاج ، وشرح عينية ابن سينا ، وله شعر ، وكان يملى ذلك كله املاء

(٢) الحاج خليفة مصطفى بن عبد الله ، كاتب شلبى المؤرخ التركى المستعرب ، ولد فى القسطنطينية وتقلب فى كثير من المناصب ، وحج وساح فى الأرض ، وتوفى فى الآستانة سنة ١٠٦٦ هـ وله مصنفات أهمها الكتاب الجليل كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، وتحفة الكبار فى أسفار البحار ، وتقويم التواريخ وغيرها

(٣) محمد بن اسحاق بن يعقوب النديم البغدادى الوراق المتزلى وكنيته أبو الفرج مؤرخ ثقة بحاثة ، توفى سنة ٣٨٥ هـ وكتابه الفهرست من أقدم وأفضل كتب التراجم

(٤) القاسم بن عيسى أمير الكرخ وسيد قومه وقائد المأمون ، أديب شاعر كريم ممدوح ، وله تصانيف منها سياسة الملوك والبزاة والصيد ، وهو الذى قيل فيه :

إنما الدنيا أبو دلف بين بادية ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفى سنة ٢٢٥

(٥) أحمد بن محمد بن ابراهيم البرمكى ، المؤرخ الحجة الأديب البارع ، وكتابه الوفيات أحسن كتب التراجم وأجمعها وأضبطها ، ولد فى اربل سنة ٦٠٨ وأقام بمصر مدة تولى فيها نيابة القضاء ، ثم تولى قضاء الشام للملك الظاهر ، ثم تردد بينه وبين مصر ، ودرس فى العادلية والأمينية وغيرهما من مدارس دمشق ، وتوفى فيها سنة ٦٨١ ودفن فى سفح قاسيون

زاده [1] ووصفه بأنه كاف فى هذا العلم ولم يسم مؤلفه

وذكر الشاعر الكبير الأستاذ الشيخ رضا الشبيبي (وزير المعارف العراقية اليوم) فى مجلة المقتبس [2] أن فى الخزانة التيمورية كتاباً اسمه « القانون فى البيزرة » ولعله هو

وذكر أن من كتب هذا العلم كتاب « أنس اللا بوحش الفلا » تأليف محمد بن منكلى نقيب الجيش المصرى فى أواخر القرن الثامن ، وهو فى خزانة باريز تحت رقم ٢٨٣٤ ، والقواعد المحبرة فى البيطرة والبزدرة للأنطاكى

وهناك آثار تعمّ الصيد بالكلاب والنبل والنشاب وهى كثيرة منها : كتاب المصائد والمطارد لكشاجم [3] ذكره ابن خلكان فى الوفيات ، وانتهاز الفرص فى الصيد والقنص للشيخ تقى الدين الناثرى ألفه بزبيد سنة ٩١٠ ، ذكره الحاج خليفة فى كشف الظنون وغيرها

وقد تكلم فى طباع الجوارح وأجوالها كثيرون منهم : الدّميرى [4] فى حيـــاة الحيوان . والقزوينى [5] فى عجائب المخلوقات وغيرهما

وفى الأدب العربى أدب الصيد قائم برأسه ، يعرف بالطرديات نبغ فيه جماعة منهم : أبو نواس ، وأبو فراس ، وكشاجم ، والحلى وغيرهم

* * *

(١) أبو الخير أحمد بن مصلح الدين كاشكرى مؤرخ تركى الأصل مستعرب ، ولد فى بروسة وتنقل فى مناصب التدريس والقضاء إلى أن ولى قضاء حلب وكف بصره ، وتوفى سنة ٩٦٨ هـ ، ومن كتبه : الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، ومفتاح السعادة والشفاء وغيرها

(٢) العدد الأول من المجلد التاسع الصادر سنة ١٣٣٥ هـ ، وقد كان يصدر المقتبس مفخرة القطر الشامى أستاذنا الجليل محمد بك كرد على ، وقد صدرت فى مصر ثم فى الشام ، فكانت الحبر الأول من بناء نهضتنا الأدبية والفكرية ، وبمجموعها سجل أدبى لتلك الحقبة ، وكتاب فيه من المباحث العلمية ونفائس آثار الأولين ما لم ينفرد فى غير المقتبس

(٣) محمود بن محمد بن الحسين الرملى المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن من كتاب الانشاء ، له « أدب النديم » و « خصائص الطرب » و « المصايد والمطارد » وله ديوان ، مات سنة ٣٥٠ هـ

(٤) محمد بن موسى بن على الدميرى وكنيته أبو البقاء ، باحث فقيه أديب مولده ووفاته فى القاهرة ، كان خياطاً ثم أقبل على العلم وأتقن ودرس فى الأزهر . له حياة الحيوان ، والديباجة شرح كتاب ابن ماجه ، والنجم الوهاج فى شرح المنهاج وغيرها توفى سنة ٨٠٨ هـ

(٥) زكريا بن محمد بن محمود من سلالة أنس بن مالك رضى الله عنه ، مؤرخ جغرافى ، ولد بقزوين ورحل إلى الشام والعراق وتولى قضاء واسط والحلة أيام المستعصم العباسى ، توفى سنة ٦٨٢ هـ ، له آثار البلاد وأخبار العباد ، وخطط مصر وعجائب المخلوقات ( قال فى الأعلام ) وقد ترجم إلى الفارسية والألمانية والتركية

وفى سنة ١٣٣٢ هـ وجد الأستاذ الشيخ رضا الشبيبى بين ( نفيسات آثار شتّتها الاهمال ، وطمسها الابتذال ، منبوذة فى ناحية غامضة ، تبذك سقط المتاع ، ملقاة تالت منها الأرضة والحشرات ، أضعاف ما اقتبسته منها العقول النيّرات . قد علاها من الزبل وسلح الطيور ونحوها ما غير محاسنها ، وأخلق كريم دياجتها ) وجد بين هذه الآثار كتاباً فى البيزرة ، وأول شىء فى هذا الكتاب إغفال تسمية مؤلفه فيه ، وأنه خالٍ من البسملة والحمدلة ، عار من تقديم مقدمة قبل الشروع فى المقصود ، وعلة ذلك انقطاع دابر هذا الفن وأهله حتى لم تتألف من مشاهيرهم إلا طبقة محدودة . . . وليس هذا الكتاب مما ألّف للاسكندر الرومى ثم نقل إلى العربية كما يظهر مما جاء على ظهره وهذا نصه : « كتاب البيزرة صنفه الحكماء المتقدمين ( كذا ) للملك الاسكندر الرومى ؛ وهو كتاب عجيب مما يصلح بالملوك إذ لابد لكل ملك من مسير إلى صيد بأحد هذه الطيور الجوارح » ، والذى أوقع الوراقين فى هذا الوهم ما ورد فى صدر الكتاب من أن ثقات الروم من أهل المعرفة ؛ ذكروا أن الاسكندر الرومى قال للحكماء المختفين بخدمته : « أريد أن تعرفونى بطبيعة البازى وأمراضه وعلامة كل مرض ودائه وهل طبيعته تقارب طبيعة الآدمى أم لا ؟ » وأنت تعلم قصور هذه العبارة عما يدعون ، كيف وفى الكتاب نقل كثير عن حكماء العرب والمستعربين ، ومنهم من صحب الرشيد !! فالكتاب إذن من طرائف عصر عربى راقٍ كما يظهر أيضاً من أسلوب انشائه السهل الممتنع البليغ . ولا يبعد أن يكون مؤلفه من رجال أواخر القرن الثالث أو الرابع للهجرة . يدلنا على ذلك أن المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ أورد فى مروج الذهب عن الجوارح فصلين ترجح — بقول الأستاذ — أنهما منقولان من هذا الكتاب باختلاف يسير

وروى لنا خبير أن فى خزانة باريز كتاباً رقمه ٢٨٣١ بدون اسم إلا أنه كتب على ظهره بخط غير خطه : « كتاب الجوارح والبزدرة تصنيف الفيلسوف ( أبو ) بكر بن يوسف بن أبى بكر ابن حسن بن محمد القاسمى القرشى العلوى الأشعرى » تاريخ كتابته سنة ٨٤٨ هـ

قسم هذا الكتاب طبق المحز وأصاب المفصل من الكتاب المائل أمامى الآن ، لكن لا تزال حقيقة مؤلفه مبهمة مجهولة . هذا وكتابنا جزآن أو مقالتان ، فى المقالة الأولى ٥٢ باباً فى تاريخ

الصيد بالجوارح وتقسيمها إلى أقسامها وكيفية ترتيبها وسياستها ثم إرسالها إلى غايتها

وفي المقالة الثانية ٦٣ باباً في أدواء الجوارح وعللها وما يتخذ لعلاجها من المركبات لجملة الأبواب ١١٥ باباً في حجم ١٤٥ قاعة أو ٢٩٠ صحيفة صغيرة مخطوطة خطاً واضحاً متأخراً، أغاليطه بخطها العد، وفي آخره: « وقع الفراغ من كتابة هذه البيزرة نهار السبت ١٢ جمادى الأخرى سنة ١٢٠١ من الهجرة على يد ملامط ابن عبد الله الطرفي » اهـ. كلام الأستاذ الشيبي

***

أما الكتاب الذي أصفه اليوم فقد وقع عليه صديقنا الوراق العالم الشيخ حمدي السفرجلاني في خزانة قديمة في دمشق فعرف قدره فاشتراه. ثم كانت له قصة انتهت بأن بيع الكتاب إلى أحد المولعين بالكتب القديمة من الأفرنج وبقيت منه النسخة الفوتوغرافية التي أصفها عند الأستاذ السفرجلاني

وكتابنا - وإن لم يعرف مؤلفه - من أقدم الكتب المصنفة في هذا العلم وأجلها. فقد وضع للعزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي العبيدي الفاطمي صاحب مصر والشام المتوفى في الحمام يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ

وكان مُغْرى بالصيد، يصيد بالحجل والجارح من الطير ويصيد بالسباع. وكان مؤلف الكتاب كما يتحدث عن نفسه من بيازرة العزيز والمقربين اليه، وكان غالياً في التشيع لا يذكر العزيز مرة إلا صلى عليه وسلم! ومن قوله وهو يتحدث عن بازٍ: « ولم أرَ في المدة التي لزمت فيها الصيد ومبلغها عشرون سنة الى أن صنفت كتابي هذا في علم البيزرة مثل هذا البازي على كثرة ما رأيت منها. ولقد وصل الينا في ليلة واحدة مائة باز من الشرق والغرب. فكم تراه يصل في كل سنة محمولاً إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، مما لم يحمل إلى ملك قبله كثرة وجودة، وكل ذلك أتولى تدبيره، وأمارس تضريته، والاصطياد به الخ »

وقال في آخر الكتاب:

« وقد كان مؤلف هذا الكتاب في جملة البيازرة متقدماً عليهم — لا في جملة واحد منهم لا يحسن شيئاً من البيزرة، ثم أفرده أمير المؤمنين صلى الله عليه عنهم، وله من العمر إحدى عشرة سنة، وعلمه وهو لا يملك عشرة دراهم وعليه ثوب — ثم خرج في صناعته إلى ما قد شاهده الناس وعرفوه، ورقى أمير المؤمنين صلى الله عليه منزلته إلى أن صار اقطاعه عشرين ألف دينار، وبلغ المنزلة التي لو رآها في النوم لما صدقها، فلا يَخْفَ عن الناس ما كان فيه، وما صار إليه »

والكتاب كله من النمط العالي في إنشائه وأسلوبه، وهو مشحون بالفوائد والأخبار الأدبية، والأشعار المستملحة، والقصص اللطيفة، ويقع في ٣٠٠ صفحة مكتوبة بخط قريب من النسخي، قليلة أخطاؤه، مشكول شكلاً لا يعتمد عليه دائماً، فيه إشارات خاصة كانت توضع على الحروف المهملة ثم أهملت[1]، ومقدار المكتوب من الصفحة (١٨ — ١٠) سنتيمتراً، وفيه ١٣ سطراً وفي آخره: « وقد وصينا بما فيه الصلاح لمن انتهى إليه وعمل به، وبالله نستعين وعليه نتوكل

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين، كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين، وعلى الأئمة من عترته الطاهرين الأخيار وسلم تسليماً »

وبعد ذلك ست صفحات يختلف خطها قليلاً عن خط الكتاب فيها:

باب النفقة على البيازرة وما يصل من أموال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين اليهم في كل سنة

وباب في أحكام الصيد الشرعية وما يحل من ذلك وما يحرم في خمس صفحات في الثلاث الأخيرة منها خرم يصعب معه قراءتها وقد صرّح بأن هذه الأحكام على المذهب الشيعي وعرّض بالمذاهب الأخرى

وليس في أول الكتاب أو آخره ما يدل على تاريخ كتابته ولكني عثرت في وسطه على جملة مكتوبة تحت (باب ذكر ما يحتاج إليه البازي في القرنصة) بخط الناسخ هذا نصها:

« وكتب هذا الكتاب تاريخ سنة خمسمائة في شهر شوال »

وإذن فيكون عمر النسخة التي نصفها أكثر من ثمانية قرون

هذا وسنعرض على القراء خلاصة أبواب الكتاب، ونماذج منه صالحة في مقالة أخرى، فقد طال بنا نفس الكلام، والله المستعان

علي الطنطاوي

(١) والعلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري رسالة في بيان هذه الاشارات مطبوعة

# فى الكتب

## ما كنت اتمنى أن أقرأ

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ليس أكثر من الكتب فى الدنيا ، ولعلها الشىء الوحيد الذى يزيد ولا ينقص ، ولو أن ما كتبه الناس من أقدم العصور التى بقى لنا منها أثر — ودع ما نقل بعضهم عن بعض — جمع فى مكان واحد ، لملأ مدينة واسعة كالقاهرة ومعها ضواحيها التى تزحف بها على الريف من ناحية ، وعلى الصحراء من نواح ، وليس أشد شرها ممن يستقل ذلك ، أو لا يرى فيه غناء ، وهنا موضع التحرز أو التنبيه إلى وهم قد يسبق إلى بعض الأذهان ، فما أعنى أن فى الوجود من الكتب ما يغنى عن الاستزادة أو يصدّ عن التطلع ، أو ما يكتفى به العقل الانسانى عن المضى فى البحث والتقصى ، وإنما أعنى أنه حسب من شاء أن يقرأ ، فما يتسع عمرٌ — مهما طال — للالمام ببعض هذا الموجود من ثمار العقول ، ولو أن أعمار الذين لا خير فيهم أضيفت إلى عمر الواحد منا ( ! ! ) وزيدت عليه ، لما كانت كافية لتحصيل ذلك كله ، ولكنى ، مع ذلك ، أرانى أحياناً — وأنا جالس بين ما بقى لى من كتبى — أتحسر وأتمنى : أتحسر لأن مطبوعاً من هؤلاء المؤلفين ، على الشعر ، أبى إلا أن يكون جاهلا نفسه ، وتوهم أنه ناقد أو فيلسوف أو غير ذلك ، وذهب يكتب . أو أن كاتباً فذاً غالط نفسه فراح يقرض الشعر ، ويجىء بالغث ويحسب أنه صنع شيئاً ، وأتمنى لو أن بعضهم نظم قصيدة فى معنى يخطر لى ، وأراه كان أقدر على صوغه ، أو وضع كتاباً فى بحث معين ، أو كتب قصة مثلا ، أو أردف ما كتب بشرح ما يعنى ، كأنما كل هذه الكتب لا تكفى ولا تقنع !

وأتساءل أحياناً — لو أن أبا العلاء لم ينظم أكثر سقط الزند وبعض اللزوميات ، وزادنا من مثل رسالة الغفران ، أكان هو ينقص شيئاً أم كان يزيد ؟ ؟ وهل كنا نحن القراء نخسر أم نكسب ؟ ؟ كنا نربح فيما أعتقد ، ولم يكن يضيع علينا شىء من نظمه لا نهمله الآن ، ولكن أبا العلاء غلط وآثر التكلف ، ليرضى غروره ، وليتعزى أيضاً باظهار اقتداره . وإنه لفحل عظيم ، وما يطيب لى أن يظن أحد أنى أغمطه أو أنزله دون منزلته ، وانى لأعلى به عيناً من أن يخطر لى أنّ فى وسعى أن أظلمه ، ولكنى كنت أود لو زادنا من مثل الرسالة ، وفى يقينى أنه لو كان فعل ، لبلغ القمة واستولى على الأمد

ويؤسفنى أحياناً أن الجاحظ لم يكتب قصة . أما لو كان فعل ! ؟ أين بين كتاب العرب ، من كان أقدر على ذلك منه ، وأولى بأن يكون أبرع فيه ، وأسحر وأفتن ؟؟ من له مثل قدرته على الكتابة ووفاء التعبير بلغته ؟ من له مثل فطنته ونفاذ نظره ، وفكاهته ، وحسن تأتيه ، ولطف مداخله ، وحذقه فى التناول والعرض ، ودقته فى فهم الناس واستبطانهم ، والاحاطة بجوانبهم المختلفة ، والتفطن إلى نواحى الجد والهزل فيهم ، وإلى مبلغ اختلاط هذا بذاك ، وإرباء ذاك على هذا ؟ ؟

أوليت الجاحظ كان مصوراً ! ؟ أترى كان يستطيع — لو ساعفته الأحوال وتاحت لذلك فرصة — أن يحول مواهبه إلى هذه الجهة ؟ ؟ أكان يسعه أن يسخر قدرته اللفظية على البيان إلى قدرة من نوع آخر ، على الأداء ، فيثبت ما يريد على اللوح ويدعه ، وهو ساكن لا حركة فيه ولا تتابع للحظاته ومناظره ، ينطق بما حمله من المعانى ؟ ومن يدرى ؟ إن مطلب الكاتب غير مطلب المصور ، وأداة هذا غير أداة ذاك ، وأقل ما بينهما من الفروق ووجوه الاختلاف أن الكاتب يقوم أسلوبه على الحركة والتعاقب ، وأن المصور لا يسعه إلا أن يثبت لحظة ويعرضها ساكنة ، والسكون لا ينفى التعبير والنطق ، وقد يكون أنطق ، وأبلغ فى نطقه من الكلام . فهل كان بيان الجاحظ — وهو فيض لا تصده السدود — يستطيع أن يحتمل الحصر والتجمد والتجمع ، والنطق بقوة الابراز لا بفضل الانسياب أو التدفق ؟ أعود فأقول ، لا أدرى ؟ .

وتمنيت ، وأنا أدير عينى فى كتبى على رفوفها ، لو أن هؤلاء الألمان الذين يتفلسفون علينا بما لا نفهم ، بينوا لنا — أو لى أنا على الأقل — ماذا يريدون أن يقولوا . عجيب أمرهم والله ! قرأت مرة لأحدهم — وأظنه « هجل » فما أذكر الآن بعد هذا الزمن كله — كتاباً فى « فلسفة التاريخ » فخرجت منه كما دخلت ، وقلت لنفسى : إما انى أنا حمار ، وإما أن هذا الرجل

لا يحسن العبارة عما في رأسه ، ولكني أفهم عن غيره فلماذا أراني لا أفهم عنه ؟ ؟ وكيف يعقل أن أعجز عن فهم ما أخرجه عقل انسان مثلي ؟ وكان في هذا الكتاب فصل عن المدنية الاسلامية أو عن تاريخ العرب — فقد نسيت — خيل إلي أني فهمت أقله ، ودارت الأيام ، ووقع في يدي كتاب لرجل أمريكي اسمه « دوبير » عن المدنية ونشوئها ، يكتب كما يكتب خلق الله — لا الألمان — فاذا فيه فصل طويل عن العرب بعد تطبيقاً لنظرية هجل التي لم أفهمها ، فسألت نفسي : لماذا لم يكتب هجل كما يكتب هذا الرجل ؟ ؟ ثم عدت أسألها وأتعجب : لماذا فهم « دوبير » عن « هجل » ولم أفهم أنا عنه ؟ وأسأت الظن بنفسي واعتقدت أن بي نقصاً في التدريب العقلي ، وراجعت « هجل » وكررت إلى هؤلاء الألمان الموصين كرة الصمم المستميت ، ولكن مضغ الجلاميد أعياني ، فنفضت يدي منهم — ومن نفسي — يائساً ، وقلت : يا هذا ، لقد صدق القائل : كل ميسر لما خلق له ، وأنت لم تخلق لتقرأ فلاسفة الألمان ، فارجع عنهم ، واسلم بنفسك منهم

ولست أعرف أن للمتنبي نثراً ، وإن شعره لحسبه ، فما يحتاج بعد أن قال هذا الشعر أن يصنع شيئاً آخر ، أو يحشم نفسه جهداً في باب غيره ، ولكني مع هذا أحس بحسرة لأنه لم يشأ أن يترك لنا كتاباً عن مقامه في مصر ورحلته إلى « الأستاذ » كافور ! ألا يشعر القارئ معي أن كنوز الأدب العربي ينقصها هذا الكتاب من قلم المتنبي في « كافور » ؟ يالها من تحفة نادرة ، ضن بها علينا المتنبي ؟ ؟ أتراه لم يخطر له هذا قط ؟ فماذا كان يصنع يا ترى حين لا يعالج النظم ؟ لقد كان مقلا ، وليس ديوانه الذي خلفه بالذي يستنفد عمر مثله أو جهده ، فلماذا يا ترى لم يشغل فراغه الطويل بالكتابة ؟ أكان الكلام الجيد لا يؤاتيه إلا منظوماً ، لأن عواطفه لا تتدفق إلا على لحن ؟ وخواطره لا تتنظم أو تتسق إلا على النغم ؟ ربما

وينقص الأدب العربي — في رأيي — اعترافات رواته ، فقد ملأوا عالمه بالدخيل والمنحول والمخترع ؛ وتركوا لنا نخل ذلك كله وغربلته ، فليت واحداً منهم كانت له جرأة « روسو » اذن لارتفعت عن الباحثين تكاليف ثقيلة ، ولاستغنوا عن هذه الغرابيل التي لا أراها تغربل شيئاً ، ولأمكن أن تنفق الأعمار التي تضيع في هذا البحث ، فيما هو أجدى . ولو أن الرواة كتبوا اعترافات لخلفوا لنا قصصاً من أمتع ما في الآداب ، غربيها وشرقيها ، ولكشفوا لنا عن خصائص ، نفسية وعقلية ، ينفع الناس العلم بها ، ولتسنى أن نطل هذه الفوضى التي أغرق فيها الرواة أدبنا ، ولاسيما القديم منه . ومن الشيق لا يشتاق أن يعرف لماذا كان الواحد منهم ينظم الأبيات ثم يحشرها في قصيدة لشاعر قديم ، أو يخترع القصة أو النادرة ويعزوها إلى هذا أو ذاك من الأولين ، ويصر على أن الأمر حق وأنه صادق ، ويزعم أنه أخذ ذلك عن فلان وعلان ، أو تلقفه من أفواه البدو الضاربين في الصحراء ؛ والغريب من أمرهم أنهم ينزلون عن مزية كبيرة في سبيل مزية أصغر منها ، ذلك أن اختراعاتهم وتصنيفاتهم تدل على خصب في القريحة ، وعلى قوة الخيال ونشاطه ، بل على وجود ملكات كافية لأن يكون الواحد منهم شاعراً مجيداً أو قصاصاً بارعاً ؛ ولكنهم يزهدون في ذلك ، ويظلمون أنفسهم ، ويقنعون بأن يكونوا رواة فحسب ؛ أي حفاظاً ليس إلا ؛ أي خزانة مفتاحها في لسانهم ؛ وأغرب من ذلك أنهم لو قنعوا بما حفظوا ، وتوخوا الأمانة في الحفظ والرواية ، لعدوا علماء ، ولكانوا محل الثقة والاطمئنان ؛ ولكنهم يأبون لأنفسهم منازل الكرامة ، ويروحون يزورون ويفترون ويلفقون ، ويظهرون في ذلك من الحذق والبراعة مالو أظهروا بعضه في غيره لرفعهم مقاماً عالياً . فلا بد أن يكون هناك عوج في طباعهم والتواء في عقولهم يزيغان لهم الطريق الذي سلكوا ، ويعدلان بهم عن المنهج الأقوم ، ويغريانهم بإهمال مواهبهم ، أو سوء استخدامها

وعلى ذكر الاعترافات أقول إني لا أحب أن أقرأ اعترافات لذلك التواسي الفاجر ، وليس هو بأفجر من سواه من أصحابه في زمانه ، ولكنه أظهرهم لأنه أعلاهم لساناً وأقواهم بياناً ، ومثل سيرته لا يزيد الناس فهماً للحياة وحسن إدراك لها ، وما في الأمر إلا أنه كان أجرأ فلم يكتم نقائصه ، كما يفعل غيره ، ولم يحاول أن يستر لما ابتلي ، ولولا أنه شاعر لما شغل بقصصه أحد ، والشهرة هي التي جنت عليه فأبرزت جانب السوء والاستهتار من حياته ، ولولا ذلك لكان شأنه كشأن سواه من أمثاله الذين لا يخلو منهم عصر أو شعب . فلو أنه كتب اعترافات لما كانت لها مزية يفيدها الناس ، وماذا كان يمكن أن يكون في اعترافاته مما يجهله الناس ،

# الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الزهر المسلمين فى العصر الحاضر

« ان صوتى قد أوقد النار القديمة(١) فى بلاد إيران ولكن العرب لا يعرفون شيئا عن نغماتى الشجية »
( اقبال )

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

شدا صديقنا الفضال الشاعر الفيلسوف الدكتور السر محمد إقبال بهذا البيت فى ديوانه « پيام مشرق » (أى رسالة الشرق) منذ ثلاث عشرة سنة ، ولكنه لم يسمع صدى المعرفة الحقيقية « لنغماته الشجية » من العرب إلى اليوم . وثلاث عشرة سنة مدة طويلة . لأن الشيء إذا مر عليه زمن قليل يقال إنه مضى ودخل فى ذمة التاريخ ، وليس كل ما دخل حصن الماضى نال رعاية التاريخ . لأن مخالب التاريخ الحديدية لا تقتطف إلا ماهو مؤثر مباشرة فى الحوادث المادية ولا تهتم بوجود الكائن الحى بنفسه أيا كان، ولكن هناك أشياء خارجة عن وصول مخالب التاريخ ومؤثرات الزمن مع كونها مؤثرة فى الحوادث المادية . وتلك الأشياء هى الحقائق الملهمة ، ومنها الشعر أو « النغمات الشجية » كما عبر الدكتور . فالحقيقة الملهمة شيء خالد بعيد المرام عن تلاعب الزمن ، وعزيز المنال من مخالب التاريخ ، تظمأ الحياة الانسانية إلى مناعمته فى كل زمان ، وتتطلع إلى مؤانسته فى كل مكان وإن كانوا لا يجاهرون بالعلم به . كل ما كنا خلقاء أن نستفيده هو صورة الحياة ، كما عرفها وعاناها ، فاسق عظيم

وليت دهبلاً ترك لنا مذكرات ! فانه متمرد ظريف ، وليس أحب إلى المرء من الوقوف على مظاهر التمرد ، ولكن التمرد صنيعه فى حياته ، وصنيع شعره معه — أو أكثره — فلو أنه كتب مذكرات لما أعوز خصومه الحطب

* * *

لو ذهبت أذكر ما كنت أتمنى أن أجد فيه كتاباً ، لما فرغت ، فالهذا آخر ، حسبى ماينت ، وليكن كاشارة الفهرس

ابراهيم عبد القادر المازنى

(١) إشارة إلى أن النار كانت تعبد فى بلاد إيران قبل الاسلام

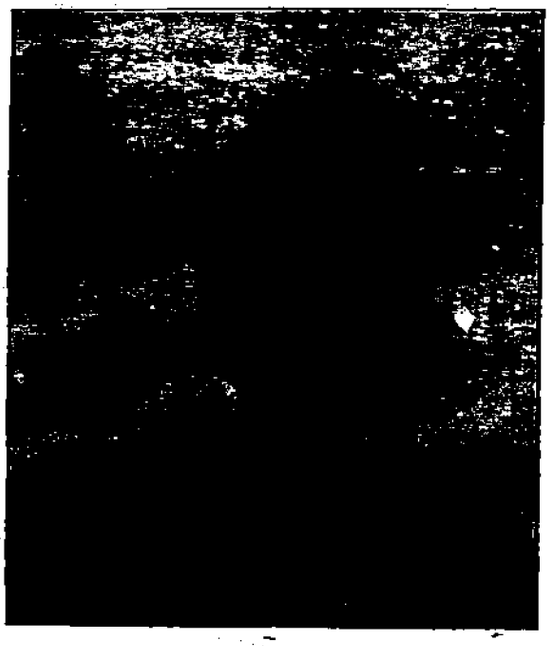

الدكتور محمد اقبال

وعلى هذا أريد أن أعرف إخوانى الناطقين بالضاد بتلك « النغمات الشجية » وأن أكون على الأقل ترجماناً لها إن لم أكن راوية ، فأقدم اليوم اليهم على صفحات (الرسالة) ترجمة حياة الدكتور بالايجاز ، وسأتبع ذلك بحديث عن شعره وفلسفته وآرائه فى نواحى الحياة المختلفة إذا وفقنى الله لذلك

انحدر الدكتور السر محمد إقبال من سلالة وثنية عريقة فى المجد والشرف من طبقة « پَنْدِتْ » القاطنة ببلاد كشمير فى شمال الهند . و « پندت » لقب يلقب به أهل العلم والفضل من طبقة البراهمة التى هى أرفع الطبقات وأعلاها شرفاً وعلماً ونفوذاً فى النظام الاجتماعى الوثنى فى الهند ، وقد أشار الدكتور إلى ذلك إذ قال :

مرا بنگر كه درهند وستان ديگر نمى بينى
برهمن زاده رمز آشنای روم وتبريزاست
« انظر إلى فانك لا تجد فى الهند مثلى من سلالة برهمن ولكنه يعرف رموز روم وتبريز[1] »

تشرفت عائلة الدكتور باعتناق الاسلام قبل مائتين وخمس وعشرين سنة . وذلك أن أحد أجداده اتصل بولى من أولياء الله من الصوفية المسلمين فأشرب قلبه حب الاسلام فأسلم . وكان من

(١) إشارة إلى رموز تصوف مولانا جلال الدين الرومى الصوفى المسلم الشهير وإلى رموز شعر شعراء تبريز مثل حافظ وسعدى

آثار تلك الحادثة أن حسن الاعتقاد فى الصوفية المخلصين لا يزال من الأوصاف المميزة لعائلة الدكتور إلى اليوم

ولد الدكتور محمد إقبال فى سنة ١٨٧٦ ميلادية فى بلدة سيالكوت مسقط رأس فيلسوف الاســـلام العلامة الشهير عبد الحكيم السيالكوتى من أقليم پنجاب فى شمال الهند. فلما بلغ سن التعليم أدخله أبوه فى مكتب من المكاتب الاسلامية فى تلك البلدة ، ومن وهبه الله الذكاء المتوقد والحذق الحاد ظهرت بوادره منذ نعومة أظفاره . كذلك الدكتور إقبال فانه لم تمض عليه مدة قليلة حتى أتم دراسة المكتب فأدخله أبوه فى المدرسة ، وفى المدرسة أيضاً بقى مثالاً لحدة الذهن وموضع الاعجاب من جميع أساتذته . فانه لم ينتقل من فصل إلى فصل ولم ينل شهادة بعد شهادة إلا بتفوق على أقرانه وباستحقاق مساعدة مالية شهرية من قبل الحكومة جائزة لنبوغه إلى أن أتم دراسته الثانوية ، وبعد إتمام الدراسة الثانوية دخل الدكتور كلية فى نفس البلدة ، وكان فى تلك الكلية أحد كبار علماء الدين أستاذاً للغة الفارسية والعربية وهو شمس العلماء مولانا مير حسن [1] الذى كان يشار اليه بالبنان فى الأدب الفارسى والعربى فتتلمذ له الدكتور ونبغ فى الفارسية كما تعلم منه العربية أيضاً . وبعد إتمام دراسة الكلية انتقل الدكتور إلى كلية الحكومة ببلدة لاهور حاضرة اقليم پنجاب ونال منها شهادة B. A. بتفوق حيث استحق مداليتين ذهبيتين والمساعدة المالية الشهرية من قبل الحكومة . وفى هذه الأثناء انتقلت خدمات المستشرق الشهير السر توماس آرنلد من كلية عليكره إلى كلية لاهور . وكان السر آرنلد هذا مشهوراً بسعة اطلاعه فى علوم الفلسفة ، وكان عند الدكتور إقبال أيضاً ميل غريزى إلى الفلسفة حيث لم يترك دراستها فى نيل جميع شهاداته الماضية فتتلمذ للسر آرنلد . فكان السر آرنلد يعترف دائماً بذكاء تلميذه المتوقد واستعداده للفلسفة ويفتخر به إلى أن أتم الدكتور دراسة الجامعة ونال شهادة M. A. مع مدالية ذهبية

عين الدكتور بعـد إتمام دراسته مباشرة أستاذاً للفلسفة والسياسة الدنية فى الكلية الشرقية بلاهور ثم أستاذاً للفلسفة واللغة الانجليزية فى كليـة الحكومة بلاهور . فصنف فى أيام تدريسه كتاباً فى السياسة الدنية باللغة الأردية . وكان الدكتور طول مدة التدريس فى الكليتين حسن الصيت فى العلم والفضل عند أساتذتهما ، وممدوح الخلال مأثور المحامد عند تلاميذه

لم يسمح للدكتور عشقه للعلوم وطموحه إلى التوسع فيها بأن يقنع بتلك الوظيفة ؛ فهجر فى سنة ١٩٠٥ وطنه وأقاربه ثلاث سنوات طلباً للتوسع والمزيد فى الفلسفة والقانون والتحقيقات العلمية الأخرى إلى انجلترا والتحق بجامعة كمبردج ونال منها شهادة فى فلسفة الأخلاق ، ثم انتقل إلى ألمانيا والتحق بجامعة مونيخ فيها ونال منها شهادة الدكتوراه فى الفلسفة ، ثم رجع إلى انكلترا والتحق بجامعة لندن ونال منها شهادة المحاماة ( Bar — at — Law )

إن كثيراً من طلاب الشرق حينما يذهبون إلى الغرب يجدون أنفسهم فى عالم جـديد لم يخطر ببالهم ولا هجس فى ضمائرهم ، إذ الفوضى الأخـلاقية قد استحكمت عراها ، والأباحية قد شيدت وطائد رباها ، وأبواب المفاسد مفتوحة ، ودواعى الخلاعة مسروحة . فيندفعون فى تياره ويضيعون فيـه أوقات فراغهم حتى أوقات أشغالهم ، ولـكن الدكتور لم يضيع أوقاته ، بل كان يستغل حتى وقت فراغه فقد سعى فيه لخدمة الاسلام بتبليغه إلى العوام ، إذ ألقى فى فصول قيامه فى انجلترا ست محاضرات فى الاسلام بين حشد الخاص والعام . وقد منح الله الدكتور العبقرية الشاملة وأسبغ عليه جميع مزايا النبوغ ، فهو ناثر بليغ كما هو ناظم مطبوع ، وكاتب بارع كما هو خطيب مصقع فكان لمحاضراته رنة بين الناس ووقع حسن فى أوساط العلم والأدب

وإذا كان غاية مايبتغيه الأستاذ من تلميذه ويتمنى له ، لمكوفه على تعليمه ومكابدته فى تهذيب نفسه وتنوير عقله ، أن يبلغ منزلته فى العلم والأدب ، وأن يقوم بمهمته أتم قيام ، وأن ينوب عنـه أحسن مناب لا يشوبه خلل ، ولا يعتريه أود ولا يخالطه وهن ولا أمت . فقد بلغ فيـه صديقنا الدكتور إقبال حيث لم تبلغ الآمال والهمم ، إذ الدكتور بذكائه المتوقد ، وفكره الحاد ، وحصافة رأيه ، وطول باعه فى العلوم والصناعات نال أجل مكان وأخص محـل فى أنظار جميع أساتذته فكانوا يتباهون به فى السر والعلن ، ويذكرونه فخراً فى مسامرات الأدب وأندية العلم . وهذا هو الذى حفز أستاذه السر توماس آرنلد أن يفوض إليـه القيام بأعمال وظيفته بجامعة كمبردج لسنة أشهر عند غيابه عنها فخلفه الدكتور أستاذاً بالجامعة ، وقام بالمهمة خـير قيام فتناقلته ألسنة المديح وناطه الذكر الجميل

رجع الدكتور من أوروبا إلى الهند فى سـنة ١٩٠٨ مزوداً

(١) توفى رحمه الله تعالى فى سنة ١٩٢٩ ميلادية

بالعلوم والصناعات ومتأهباً لخدمة وطنه وأبناء دينه ، فاستقبله حشد كبير من جميع الأجناس والطبقات والأديان والملل . وأقيمت فى تكريمه مأدبة فاخرة ليلة وصوله إلى لاهور هناء فيها أعيان البلد ورؤساء القوم بسلامة وصوله إلى وطنه ، كما اعترف غير واحد من الشعراء والأدباء والعلماء والفضلاء بالقصائد والخطب فيها بطله وفضله . ومن ذلك الحين اختار الدكتور لنفسه الحياة الحرة ولم يقبل مناصب الحكومة لكى يجد مجالاً واسعاً لبحوثه العلمية ، وميداناً أوسع لخدمة إخوانه ودينه . فبدأ يمارس مهنة الارشاد القانونى للطالبين

والدكتور بنفسه رجل قنوع ، نزيه ، عزيز النفس ؛ يقنع بالكفاف ويرضى بالميسور ، كما عبر عن ذلك فى بيت من ديوانه : « رسالة الشرق » قال :

ناز شهان نمى كشم زخم كرم نمى خورم
درنگراى هوس فريب همت اين گداى را

« أنا لا أتحمل دلال الملوك ، ولا جرح الاحسان
يا من انخدعت بالطمع ! انظر إلى همة هذا الفقير »

فقد رفض غير واحد من مناصب الحكومة التى قدمت إليه وآخرها منصب ممثل الحكومة الهندية لدى حكومة جنوب أفريقيا وهو منصب ذو مرتب باهظ وشرف عظيم

اشتغل الدكتور بعد رجوعه من أوربا فى تصنيف ديوانين « أسرار خودى » و « رموز بيخودى » على الترتيب باللغة الفارسية . فنالا إعجاب الجميع من ذوى الفضل والعلم ، وترجم الأول الدكتور نكلسن إلى الانجليزية فذاع به صيت الدكتور فى أوربا وأمريكا فمنحته الحكومة فى سنة ١٩٢٣ لقب « السر » اعترافاً بفضله فى الشعر وطول باعه فى العلوم

وفى سنة ١٩٢٦ أجيره أحبابه وأصدقاؤه وأهالى لاهور على أن يرشح نفسه لعضوية المجلس التشريعى فى إقليم پنجاب . فلم يقبل أولاً . فلما ألحوا عليه كثيراً قبله . فانتخب عضواً بأكثرية ساحقة . فسعى الدكتور سعياً حثيثاً لتخفيف الضرائب الفادحة عن كاهل الفلاح الهندى ، ولسن قانون العقاب لكل من يطعن فى شارع الدين أو أحد رؤسائه من غير دينه هو ، وقد سن فعلاً ، ولتقرير غاية الاصلاح لادمان الخمر عند الحكومة حرمتها التامة تنفذ فى مدة خمس عشرة سنة . وفى سنة ١٩٢٨ أثار الدكتور فى المجلس بحثاً طريفاً استوقف الأنظار ، وهو هل الأراضى من ملكية الحكومة أو ملكية الشعب ؟ وفى سنة ١٩٣٢ عند انتقاد ميزانية الحكومة أثبت بالدلائل الناطقة والشواهد الصادقة أن الأراضى ليست حق ملكية الحكومة فلا يجوز للحكومة جمع المال بالضرائب الفادحة على أراضى الفلاح

وفى سنة ١٩٣١ انتخبته الحكومة عضواً فى مجلس المائدة المستديرة المنعقد فى لندن لاصلاح الهند الدستورى فسافر إلى لندن وعند الرجوع لبى دعوة المؤتمر الاسلامى بالقدس وزار مصر أيضاً وألقى على طلبى منه محاضرة قيمة فلسفية دقيقة فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة موضوعها « الاسلام كالتحول فى التاريخ » باللغة الانجليزية ، ولكن من الأسف لم يقدر أحد من الحاضرين ولا من أركان إدارة الجمعية أن ينقل تلك المحاضرة القيمة المفيدة إلى العربية للحاضرين أو يكتبها على الأقل وينشرها على صفحات الجرائد للافادة

وفى أواخر سنة ١٩٢٨ دعى الدكتور من قبل جمعية اسلامية ببلدة مدراس حاضرة اقليم جنوب الهند لالقاء محاضرة فى الاسلام ، فلبى الدعوة ، فلما وصل إلى مدراس احتفل به أهالى مدراس من جميع الأجناس والملل احتفالاً باهراً ، وأقيمت فى تكريمه مآدب كثيرة من قبل جمعيات مختلفة منها جمعية العلماء البراهمة وغيرها من جمعيات الوثنيين ؛ ومن مدراس توجه الدكتور إلى حيدر آباد تلبية لدعوة صاحب السمو نظام حيدر آباد فر بأمارة ميسور ، وهى أمارة وثنية كبيرة فى جنوب إمارة حيدر آباد ، فلما وصل بنجلور بلدة من بلادها استقبله حشد كبير من الطلبة والعلماء والوجهاء ، وكان بينهم رئيس الوزراء لأمارة ميسور أمين الملك ميرزا اسماعيل ( وهو مسلم ) فسافر معهم إلى بلدة ميسور حاضرة إمارة ميسور ، ونزل ضيفاً على الأمير الوثنى مهاراجا ميسور ، وأقيمت فى تكريمه مآدب كثيرة أهمها مأدبة جامعة ميسور التى خطب فيها الدكتور ، وفى هذه المأدبة خطب عالم وثنى كبير وهو أستاذ الفلسفة بالجامعة فقال : « إن المسلمين مهما قالوا إن الدكتور اقبال منهم ، فان الحقيقة أنه منا جميعاً ، هو ليس من ملك دين واحد أو جماعة واحدة ، فان افتخر المسلمون بأنه من أبناء دينهم ، فلسنا نحن الوثنيين بأقل فخراً منهم بأنه من أبناء وطننا الهند » . ومن ميسور توجه الدكتور إلى حيدر آباد ، فاستقبله جمع غفير من جميع الأجناس والملل ، بينهم أركان الحكومة وأساتذة الجامعة وطلبتها وغيرهم من ذوى

الجاه والشرف ، وكان طلبة المدارس مصطفين فى الشوارع والمحطة ويغنون بأصواتهم الشجية « نشيد المسلم » الذى صنفه الدكتور باللغة الأردية وأوله :

جين وعرب همارا ، هندوستان همارا
مسلم هين هم وطن ، هى سارا جهان همارا
« إن الصين والعرب لنا ، (كما) أن الهند لنا
اننا المسلمون ، فالعالم كله وطننا »

نزل الدكتور ضيفاً على سمو نظام حيدر آباد وحظى بالقبول فى حضرة سموه ، وألقى محاضرات عديدة بالجامعة العثمانية بحيدر آباد ، ثم توجه من حيدر آباد إلى الجامعة الاسلامية بعلى قره تلبية لدعوتها ، فألقى فيها أيضاً غير محاضرة ؛ وجميع هذه المحاضرات التى ألقاها فى مدراس ، وحيدر آباد ، وعلى قره ، ست تحتوى على أعمق الأفكار وأدق المعانى ، فى فلسفة دين الاسلام ، وقد سعى الدكتور فيها لتشكيل علم الكلام الجديد على ضوء الفلسفة الحديثة ، وقد نشرت فى شكل كتاب ونحن مستعدون أن نتحف قراء الرسالة بشىء منها لو تحملوا جفاف الفلسفة فى جنب حلاوة الأدب

وفى سنة ١٩٣٣ دعا الدكتور المغفور له جلالة الملك نادر شاه خان ملك أفغانستان مع عالمين كبيرين هنديين وهما الاقوكاتو السيد راس مسعود رئيس الجامعة الاسلامية بعلى قره ، وصديق صاحب الفضيلة الشيخ السيد سليمان الندوى من كبار علماء الدين للاستشارة فى تأسيس جامعة بكابل ، وفى أمور تعليمية أخرى . فلبى الدكتور الدعوة ، وفى هذا السفر صنف الدكتور ديوانه المسمى « مسافر » باللغة الفارسية

وفى سنة ١٩٣٤ سافر الدكتور لزيارة البلاد الاسلامية فى المغرب ولمشاهدة الآثار الاسلامية فى الأندلس وصنف فى هذا السفر ديواناً باللغة الأردية مسمى « بال جبريل » وفى أواخر نفس السنة دعى الدكتور إلى انجلترا لالقاء محاضرات فى فلسفة الدين فى سلسلة محاضرات هيبرت Hibbert Lectures فلبى الدعوة

هذه هى ترجمة حياة الدكتور بالاختصار وموعدنا بالحديث عن شعره المقال الآتى إن شاء الله ؟

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الرضوى

من بدائع شكسبير (١)

# حلم منتصف ليلة صيف

A Midsummer Night's Dream

بقلم محمد رشاد رشدى

يحملنا جو القصة أجيالاً عديدة إلى الوراء حيث (ثيزيوس) دوق أثينا يعد قصره للاحتفال بقرانه بملكة الأمازون الساحرة . أما أسلوب القصة فهو ملئ بالصور الخلابة التى تشيع فى الذهن جواً يشبه جو الحلم الغريب . كذلك تنشر أشخاص الجن التى ما تزال تظهر ثم تختفى فى القصة روحاً غريبة نائية حالمة . . . . والحب — سيد خالق الأحلام والخيالات — هو موضوع القصة ... بيد أنه ليس بالحب المداعب اللاهى تحمله السطور فى خفة ورشاقة مقبلاً حيناً مدبراً حيناً آخر . بل هو حب قوى قاهر يبهر النظر والسمع ويأبى إلا أن تعبر عنه الاستعارة والمجاز واللغة الشعرية الحارة . تبعثه من الصدر مثلما تبعث ليلة مقمرة هادئة من ليالى الصيف شعر شاعر من صدره ، أو زفرة عاشق من حنايا ضلوعه

( ليساندر ) و ( هرميا ) يتفقان على اللقاء :

ليساندر : فى مساء الغد عند ما تبصر ( نيبى ) طلعتها فى البحيرة ناشرة على العشب الأخضر لباساً من اللؤلؤ السيال — فى ذلك الوقت قد اتفقنا على أن نجتاز أبواب أثينا ونمضى هاربين

هرميا : وفى نفس الغابة حيث اعتدنا اللقاء ، وحيث كنا أحياناً نرقد على العشب اللين الرخص ونشم أنفاس الزهر الوحشى . هناك يلقى أحدنا الآخر ، أى ليساندر !

ويضل كل من العاشقين سبيله ويتهكهما البحث والفكر فيرقد كل تحت شجرة من أشجار الغاب ويغلب عليهما النعاس فما يدريان من أمرهما شيئاً ، ويأتى ( پك ) رسول ملك الجان فيبصر فى عيون الفتى زهرة من أزهار الغاب سحرية تغير قلبه

(١) استعرت هذا العنوان من رسائل أستاذى الجليل محمد فريد أبو حديد التى كان ينشرها تحته فعسى أن يسمح الأستاذ لى بالاستعارة وعسى أن أوفق فى إيفاء الاسم بعض ما وفاه هو من الحق

حتى إنه إذا ما صحا من نومه وقع فى حب أول امرأة يلقاها . . .
وفى نفس الوقت يهيم فى الغاب الفسيح ( عثريوس ) عاشق ( هرميا ) المنبوذ منها تتبعه ( هيلينا ) التى ينبذها هو ولا يصغى لما تريد أن يصل أذنه من ألفاظ الحب والتوسل . بيد أن ( بك ) سرعان ما يأتيه هو الآخر بالزهرة السحرية فيتغير قلبه ، ويصبح فاذا به مدله فى حب (هيلينا) ، ويهيم العشاق فى الغاب كل يبحث عن أليفه تارة متباطئاً وأخرى مسرعاً . تراقبهم من على أشجار البلوط الشاهقة ويظلهم الليل فى ردائه الهادىء . ونبسم نحن إذ نرى كيف يتغيرون . كيف يشكون وكيف يتململون — على أننا لا يسعنا إلا الاشتراك فى كل ما يفعلون

هذه العاطفة هى حلم ، غير أنه حلم يحركنا ، فان الشاعر يلعب بالعواطف فيخلطها ويمزجها سوياً ثم يثنيها ثم يعود فيفصلها ويقيم كلا منها على حدة كأنما هى خليات رقصة جميلة ، ونشاهد تحت الوجوه الفضة الوديعة تمر سريعة إلى جوار الشجيرات الخضراء وتحت أبصار النجوم اللامعة ، تبللها حيناً دموع الشوق والألم ويشيع فيها حيناً آخر بريق الحب والأمل . . .

أولئك قوم قد وهبوا أنفسهم للحب خالصة لا يبغون من عطائهم هذا جزاء ولا مقصداً ، وإنما هى هبة نقية خالصة لأنها موجهة لله لا للشيطان ، وللحب الخالص لا لشهوات البدن

هى — فى الحق — هبة الجمال الذى يخالج مشاعرهم ويملك عليهم حسهم وفكرهم — وإن مرآهم يألمون ثم يسعدون — يشكون ثم يفرحون ، يطربهم التافه من الخبر ، ويعصف بهم خالج الفكر البسيط ، تحنو عليهم بنات الغاب ساعة مداعبات ، ثم تسخرن بهم ساعة أخرى لاهيات — لهو نوع من السحر المبين . . .
ونشاهد بين الحين والآخر جماعة من القرويين يتدربون على تمثيل قطعة مسرحية يحيون بها حفل زواج أميرهم ( تيزيوس ) — أولئك قوم بسطاء مثل كل أهل الريف يعيشون عيشة طبيعية بسيطة لا يشغل فكرهم خاطر ولا يعذبهم شك لاهين قانعين مؤمنين كل الايمان بالحياة ، بعيدين كل البعد عن بحثها والتأمل فيها . ويفزعهم مرآى رفيقهم ( بوتوم ) وقد أقام يحمل فوق عنقه رأس حمار فيصيح أحدهم :

« يا للشيطان ! يا للغرابة ! لقد زارنا ابليس
صلوا أيها الرفاق — اهربوا أيها الرفاق — المعونة ! »

كان هؤلاء رجالاً من المحتمل أن يكون شكسبير قد رأى وخبر أمثالهم فى بلدته ، لأن الدرامة لم تعد بعد مقصورة على بلاط الملوك والأمراء ، بل عمت البلاد والقرى جميعها ، وأصبحت وكأنها ضرورة من ضرورات العيش ومرفقاً من مرافق الحياة لا ينفصل عنها ، ولقد كان كل عيد من أعيادهم مهرجاناً عظيما يشترك فيه الصغير والكبير ويتعاون على إقامته الجميع ، إذ أن القوم فى ذلك العهد كانوا يعشقون التمثيل ويجيدونه بالطبيعة ، لأن الروح إذا ما كانت ناضجة ممتلئة فهى لا تميل إلى التعبير عن خواطرها بالأرقام والنطق ، بل تعمد إلى تصويرها فتقصها وتقلدها ، تلك هى لغة الأطفال ، لغة الفن والخلق والسرور

وفوق كل هؤلاء العشاق والممثلين البسطاء تلهو وترفرف بأجنحتها جماعة الجن وبنات الغاب . هم أيضاً يعشقون (فتيتانيا) ملكتهم التى تحب صبياً صغيراً أتت به من بلاد الهند ، ويثار زوجها (أوبرن) منه فيريد أن يبتاع الصبى منها على أنها لن تنيله ما يريد :

تيتانيا : لو اجتمعت الجن كلها لما استطاعت أن تبتاع منى هذا الصبى ، كانت أمه من أتباعى ولكم جلسنا جنباً إلى جنب على رمال نبتون الصفراء فى الليل الهادىء ، تهب علينا نسمات الهند العطرة ، نرقب السفن يحملها الفيضان فوق تياره سريعة تتسابق — وكم كنا نضحك عند ما نرى الشراع وقد حملت وانتفخت منها البطون ، وكانت الريح العابثة هى الزوج أو العاشق المسئول

ويتشاجر ( أوبرن ) مع زوجه فتهرع الجن خائفة إلى أكمام الزهر تختبىء فيها وتتخذ منها ملجأ يقيها غضب الملك والملكة

ويريد ( أوبرن ) أن يثأر لنفسه ، فيرسل خادمه ( بك ) يلمس بالزهرة السحرية أجفان زوجه ، حتى إذا ما صحت أجل بنات الغاب وأرشقهن من سباتها وجدت نفسها مدلهة بحب مخلوق عجيب له رأس حمار وجسم رجل ، هو ( بوتوم ) القروى الممثل

وتركع الملكة أمام المريض المسحور ، وتضع فوق كتفه الملىء بالشعر اكليلاً من الزهر النضر ، ثم تنادى أتباعها وتخاطبهم :

« ترفقوا بهذا الرجل وأحسنوا مثواه ؛ غنوا له وارقصوا أمامه كلما مشى خطوة ، أطعموه المشمش ، والعنب ، والتين الأخضر والتفاح »

كان لزاماً على (تيتانيا) أن تفعل هذا ، لأن حبيبها كان ينهق نهيقاً فاحشاً ، وكان إذا ما قدمت له الزهور والفاكهة هز رأسه في طلب الهشيم والبرسيم !

أهناك أعذب وأمر من سخرية شكسبير هذه ؟ أي هزء بالحب ، وأي حدب عليه ! العاطفة في نفسها نبيلة ، بيد أن موضوعها تافه حقير ، هي فراش ذهبي لكنه يطير في الوحل ، فراش أعمى لا يدري أين يسير

وشكسبير إذ يصف كل آلامها يحتفظ أيضاً بكل ما هو حلو وجميل فيها

تيتانيا : تعال تجلس فوق هذا الزهر ، دعني ألمس وجنتيك الجميلتين وأرشق الورد في رأسك الناعم ، وأقبل أذنيك الطويلتين الحلوتين

لقد طمس الحب عيني ملكة الغاب فباتت ترى في صدغي الحمار جمالاً ، وتلمس في رأسه نعومة ، وتحس في أذنيه حلاوة وطراوة

وينقضي الليل ، ويأتي الصباح فيبطل السحر ويزول ، وتفيق (تيتانيا) إلى نفسها فتبدو لها ذكريات الأمس (مثل أشياء صغيرة يصعب تمييزها ، فكأنها رؤوس جبال نائية يراها الانسان عن بعد كالسحب الكثيفة قد تجمعت فوق الأفق)

هذه هي القصة ، فهل لنا أن نناقشها جدياً مثلما نناقش (هملت) أو (عطيل) ؟ هل لنا أن نفرض منطق الحياة على حوادثها وأسلوبها وأشخاصها ، أو أن نبحث عن الجمال والانسجام في كيانها وتركيبها ؟

لا ، فنحن إن فعلنا ذلك بعدنا عن الروح التي يجب أن نتفهمها فيها

هذه القصة لا تصور الحياة بل تمثلها — هي تمثل الناحية الحلوة الناعمة السهلة الهادئة من العيش مثلما تصور قصة (لير) الناحية الأخرى العاصفة ، المظلمة ، المريرة ، الموحشة

على أن الحياة ليست دائماً عاصفة موحشة ؛ كما أن القبرة لا تنشد كل يوم ألماً وتحيباً ، فهناك في حياة الرجال لحظات يحسون فيها بجسومهم ، وأرواحهم ، وقد رقت وصفت وارتفعت فأصبحت في صفاء نسمات الخريف تهب عند الأصيل ، وفي هذه اللحظات يكفي أن يثلج أفئدتهم ويملأها طرباً وحبوراً أن يشاهدوا زهرة جميلة قد تفتحت أكمامها ، وتلألأ على أوراقها ندى الشروق ، وأن يحرك مشاعرهم ويملأها عطفاً ورقة وحناناً ، مرأى كلب بائس ينبح ألماً ويتضور جوعاً

ذلك لأن في النفس حينذاك لحناً ونشيداً يعزف ، فإذا كل ما بالعيش قد أصبح بهياً جميلاً ، وإذا كل ما يدب على الأرض قد أمسى طيباً وديعاً كالحمل ، ذلك أن بالروح موسيقى تسبغ الدفء والسلام والحب على كل شيء خارج الروح : موسيقى (أحلى من نغم الكروان ، يسمعه الراعي وقد ترعرع قمحه ومشى النضوج في سنابله) ؛ فهل نترك تلك الأوقات السعيدة دون أن نسجلها

إن أكثر الواقعيين تطرفاً ، وأشدهم تشاؤماً وانقباضاً لا يستطيع أن ينكر وجود أمثال تلك اللحظات ، فإن هو فعل فقد ترك انتاجه ناقصاً مبتوراً ونفسه ضيقة بعوزها الاتساع والبساطة ، على أن شكسبير الكامل لم يكن يستطيع أن يكون ناقصاً ، فلم تكن تلك الأوقات النادرة لتمر دون أن يرقبها ويسجلها معاً

لقد سجلها الشاعر كما يجب أن تسجل — أعني أنه لم يصورها كما هي في الحياة — لم يرسم لنا أحلام الشباب نفسها ، يحلمها وهو يقظان فتسعده وتزكي خياله ، بل صور لنا عالماً جميلاً غريباً حتى إذا ما تعرفنا إليه ودخلناه[1] أحسسنا نفس ما يحسه الشباب الحالم من سعادة ودفء وسلام ، وكانت المشاعر التي نختلج بها نفوسنا حينذاك هي نفس المشاعر التي تنتجها هذه الأوقات السعيدة في حياة الرجال

أقول إن شكسبير كان واقعياً حتى في أحلامه وخيالاته وقد يبدو هذا القول غريباً ، على أن شرحه سهل بسيط ؛ فكثير من الناس يحسب أن الفنان ساعة الخلق يقلد مظاهر الطبيعة نفسها ويصورها فإن هو قلد — في زعم هؤلاء — شيئاً لا يراه الجميع في الطبيعة ويحسونه — كان تقليده خاطئاً وخلقه وهماً باطلاً ، وعندي أن هذا الرأي خاطئ من أساسه ؛ فالحق أن الفنان لا يقلد مظاهر الطبيعة نفسها ، بل يدرس ويقلد السبيل الذي

(١) شأن الشاعر في ذلك شأن الموسيقي يصف لنا أنغامه وصفاً فنياً ، فتحدث في النفس الأثر المرغوب من راحة أو ثورة ومن حزن أو فرح ، وهي لو أخفقت كل نغم على حدة لما تركت في النفس أثراً من الآثار

تسلكه الطبيعة فى خلق مظاهرها ، وإنما هى الآلة المصورة التى تعنى بتصوير هذه المظاهر دون أن يهمها تقليد السبيل الخالقة وتصويرها . ومن هنا يكون الحكم على العمل الفنى من حيث قربه من الواقع والحق لا يتعلق بمحتويات العمل نفسه بل بالاحساس الذى تنتجه هذه المحتويات على القارئ أو المشاهد أو المستمع

فشكسبير هنا لا يعطينا هذه اللحظات السعيدة فى حياتنا نفسها بل ما قد تنتج هذه اللحظات أو ما يقرب منها

إن ما يعطينا الشاعر هو حلم حلمه ساعة منتصف ليلة صيفية حيث يرق النسيم ويصفو ، ويهدأ الفكر ويرتاح البدن ، ذلك هو كائن دقيق يهيم ويتنقل من حلم إلى حلم ، له أجنحة فضية رقيقة تتكسر جميعها وتتلاشى إذا ما حاولنا أن نحبسه أسيراً فى سجن العقل والنطق وأن نضيّق الخناق عليه هناك.. فليس من الواجب أن نخبر طبيعة هذا الكائن ولا أن نديم البحث فى حقيقته بل ندعه يمضى أمام أبصارنا ترفرف فوقه أجنحته الجميلة ، فيهر منا البصر ويحملنا معه إلى عالم الأحلام من حيث أتى . وهل هناك أحلى من أن نترك حياة الحقيقة هذه وراءنا لحظة لنريح الفكر فى حياة اللاحقيقة ؟

لقد يسعدنا أن نتحرر من أسر النطق الثقيل لنمضى ونحيا حياة للفاكهة والغرابة والشعر حيث لا قيد ولا شرط — مثل هذه الحياة للعقل تريحه وتجدد نشاطه ، وللنفس تنقيها وتنضجها ، ولكننا يجب أن نصدّق ما نراه لكى نستمتع هذه المتعة ونستريح هذه الراحة

نعم إن بالقصة ما لا يمكن تصديقه وما لا يمكن وقوعه فى الحياة ، لكن عدم الامكانية هذا هو الذى قد يمد العقل بالراحة والهدوء إذ أنه يجرد العواطف من حرارتها فلا يجعل للمشاهد يتألم أو يشق ؛ فاذا ما جاءت اللحظة التى يقوى فيها إحساسه بالقصة ويشتد عطفه يذكر نفسه بأن الموضوع كله حلم وخيال فقط ، فتهدأ نفسه ويبدأ يرى حوادثها مثل أشياء بعيدة نائية يكسوها البعد لباساً من الهواء أزرق شفافاً

ولكن ألا ترى ينقص عدم الامكانية هذا من قيمة القصة أو يحط من مغزاها ؟ ثم ترى هل الحياة خالية كل الخلو من الجنى المداعب ( پك ) ورفقائه ؟

لا ! إن بنات الغاب يعشن فوق أرضنا هذه من وقت لآخر مداعبات حيناً نفوس الشباب وقلوبه ، حدبات حيناً آخر على عقول رجال الأعمال الجامدة وأفئدتهم الصفيقة ، وأحياناً مشفقات منشدات للفقير والمكلوم أناشيد الراحة والأمل ، ونحن نخشى ( پك ) الساحر ولكننا لا نراه — نحسه يسير معنا فى حياتنا ، ونحسّ سحره الفعال كما صوره شكسبير يغير رؤوس الرجال : إلى رؤوس الحمير والبغال — بيد أن سحره قوى لا يقاوم مرغوب من الناس محبوب من الشعراء . . .

أحب أن أقول إنه برغم كل ما بهذه القصة من شذوذ وغرابة فانها تطابق الحياة والواقع ، ولا تقل فى هذا عن قصة ( لير ) أو ( هملت ) — تطابق الحياة فقط فى أن الاحساس الذى تنتجه فى النفس هو إحساس صادق حقيق كثيراً ما نحسه فى حياتنا العادية ونحتاج إليه ، ولو أن ما بالقصة نفسها يختلف عن الحياة وذلك نوع من أنواع الخلق الفنى النادر ، ومثل من أمثلة الفنّ الايمازىّ الذى ما أحسب أحداً غير شكسبير يستطيعه بسهولة ووضوح

لقد نحلم أحياناً عند ما نسمع لحناً شجياً أو نرى وجهاً بهياً . بيد أن الشاعر هنا يدعونا لأن نحلم عند ما نقرأ شعره . فهل نرفض الدعوة ؟ إن الحلم الهادىء الجميل نادر فى هذا العيش ، وإن الاحساس بالراحة والطمأنينة وحلاوة الحياة الذى يعقب الحلم ويقطن النفس بعد رحيله عنها أندر من الحلم نفسه وأثمن . . .

فلزام علينا إذن أن نقبل دعوة الشاعر ، وأن نقبلها فرحين شاكرين ؟

محمد رشاد رشدى

بكالوريوس بامتياز فى الأدب الانجليزى


## الاسپرانتو Esperanto

كل القواعد — ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد مصرية أو قسيمة للمجاوبة — اطلب النشرة نمرة ٣٠

مدرسة الأسپرانتو بالرسالة ص . ب ٣٦٣ بور سعيد

# ١٠ ـ شاعرنا العالمي

## ابو العتاهية

### للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

حماقاته : روى صاحب الأغاني عن الحسن بن علي قال : حدثنا محمد ابن القاسم قال : حدثني اسماعيل بن عبد الله الكوفي قال : حدثني عمروس صاحب الطعام ، وكان جار أبي العتاهية قال : كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة ، سمعت بشراً المريسي يقول له : يا أبا اسحاق لا تصل خلف فلان جارك وإمام مسجدكم فانه مشبه ، قال : كلا إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة « قل هو الله أحد » ، وإذا هو يظن أن المشبه لا يقرأ قل هو الله أحد

وقد ذكرنا عن مخارق فيما سبق ما جرى لأبي العتاهية معه حينما دعاه فغناه وشرب معه ثم أمر غلامه فكسر كل ما بين أيديهم من النبيذ وآلته والملاهي ، قال مخارق : فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت وما لقيته زماناً ، ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداها وأدخل رأسه ويديه فيها ، وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت كل ما كان عندي من التم عليه والوحشة لعشرته ، وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط ، فقال : من أي شيء تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك هذا أي شيء هو ؟ من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهاد والصحابة والمجانين ؟ انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنه استحيا مني ؛ ثم بلغني أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره ، ثم مرض فبلغني أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إليّ رسوله يقول : إن دخلت إليّ جددت لي حزناً ، وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به

وذكر بشر بن المعتمر أنه قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال : نعم ، قال له : فما أردت بذلك ؟ قال : أردت أن أضع نفسي حسبار فعتني الدنيا ليسقط عنها الكبر ، وأكتسب بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة ، فقال له بشر : دعني من تذليل نفسك بالحجامة ، فانه ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصلحها بما لعلك تفسد به أمر غيرك ، أحب أن تخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدم ؟ قال : لا ، قال : هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرجه على قدر طبعه مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم ؟ قال : لا ، قال : فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين

قالوا وإنه من أجل هذا وأشباهه غلب عليه هذا اللقب « أبو العتاهية » وقد أخبر ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كنى بأبي العتاهية أن كان يحب الشهرة والمجون والتمته . وأخبر محمد بن موسى بن حماد قال : قال المهدي يوماً لأبي العتاهية أنت إنسان متحذلق معته ، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له في الناس ، قال : ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل شناجية ، ويقال أبو عتاهية باسقاط الألف واللام

ومن المحتمل عندي أن يكون تلقيبه بذلك من أجل ابنه عتاهية الذي روينا عنه فيما سبق بعض أخبار أبيه ، وأن تلك الأمور التي نسب اليه من أجلها هذا الحمق كان يتحامق بها لأغراض له فيها ، وقد تحمل الأغراض بعض ذوي العقول على هذا التحامق فلا يكون لهم منه بد ، كما قال الشافعي رحمه الله وقد جرى بينه وبين بعض من صحبه مجانة :

وأنزلني طول النوى دار غربة
إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله

أحامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويمكن أن يكون من تلك الأغراض التي حملت أبا العتاهية على ذلك اتقاء ما كان يدبر له من ضروب الكيد ، ومحاولة الايقاع به ، وأخذه بتهمة الزندقة وما إليها ، فان ظهوره بهذا المظهر يهون من أمره ، ويجعله امرأ لا يخاف شره

ويؤيد هذا ما رواه أبو الفرج قال : أخبرني محمد بن الصولي قال : حدثنا أبو ذكوان قال : حدثنا العباس بن رستم قال : كان

حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ففزع من ذلك وقعد حجاماً

وإذا كان خوفه من حمدويه هو الذى حمله على أن يحترف هذه الحرفة التى ليست من شأنه ، لا ما تظاهر به من إرادة تذليل نفسه ، فيمكننا أن نحمل على ذلك كل تلك الحماقات التى تؤثر عنه ، ونخرجها على ذلك التحامق الذى يقصد به مداراة أهل الظلم والحمق

وقد كان أبو العتاهية يعتمد فى هذه الحياة المضطربة التى عاش فيها على ضروب من الحيلة كان يجيد تمثيلها ، ولولاها لطاحت وقيته فيمن طاحت رقابهم ممن لم تساعفهم الحيلة فى تلك البيئة ، ولأبى العتاهية فى ذلك نوادر لطيفة كان يتوصل بها إلى ما يعجز عنه غيره ، ويحوز بها القبول لدى أرباب الحل والعقد فى عصره من وجله ونسائه ، ولنختم هذا الفصل بتلك النادرة الظريفة من نوادره

ذكر أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى أن أبا العتاهية لما ألح فى أمر عتبة لأول دخوله بغداد ولم ينل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست فى أصحاب الجوهر ، فمضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى انسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير من أهل السوق ، فدل على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إنى قد رغبت فى الاسلام على يدى هذه المرأة ، فقام معه وجمع جماعة من أهل السوق وجاءها فقال : إن الله قد ساق إليك أجراً ، هذا راهب قد رغب فى الاسلام على يديك ، فقالت هاتوه ، فدنا منها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقطع الزنار ودنا فقبل يدها ، فلما فعل ذلك رفعت البرنس فعرفته ، فقالت تحسُّوه لعنه الله ، فقالوا لا تلمنيه فقد أسلم ، فقالت إنما فعلت ذلك لقذره ، فعرضوا عليه كسوة فقال ليس لى حاجة إلى هذه ، وإنما أردت أن أشرف بولائها ، فالحمد لله الذى من على بحضوركم ، وجلس فجعلوا يعلمونه الحمد وصلى معهم العصر ، وهو فى ذلك بين يديها ينظر إليها لا تقدر له على حيلة !؟

عبد المتعال الصعيدى

اسطورة يونانية : « اورفيوس ويوريديس »

# الألم

[ مهداة إلى شاعر يتألم : إلى الصديق محمد القرائي ]

## للأستاذ خليل هنداوي

« أعيدوه الى أرض الحياة وحدثه ! إن عودته سيكت اذا عادت سمعه ، وان قيثارة الأرض ستنقص وتراً ، اني أريده يغني فلا تعطوها له . نحن في السماء كما على الأرض نتلذذ بالآلام الوالدة »

قد أطرَبَ الطيرَ بأنغامه ... وسهَّدَ الوحشَ بألحانه
يغيبُ عن إحساسه ذاهلاً ... متقلاً في غير أوطانه
يشكو إلى القيثارِ أشجانَه ... فيملأُ الكونَ بأشجانه
سكرانُ ! لا يُدرك ما مسَّه ... نشوانُ ! لا يخرجُ من حانه

* * *

البحر والأمواجُ تصغي له ... والليلُ إن أسبلَ أستارَه
يأوي إلى عزلته حائراً ... يُذيعُ في العزلةِ أسرارَه
ما باله يُعول قيثارُه ... فخطموا الليلةَ قيثارَه
هو الهوى امتدَّ إلى قلبه ... وأضرمَ الحبُّ به نارَه

* * *

وهذهِ من أيقظَتْ روحَه ... تسرَحُ في الغابةِ كالخاله
خاليةُ القلبِ ، تلاقي الفتى ... معرضةً عن حبِّه ، واجمه
لا تفهمُ اليومَ نداء الهوى ... لا توقظوها ! إنها نائمه
يا هائماً قد لجَّ منه الجوى ... إنهَدْ إلى غانيةٍ هائمه . . .

* * *

سيفتحُ القيثارُ من نفسها ... ما تعجزُ الأزهارُ عن فتحه
ويفتحُ الألحانُ محزونُها ... جرحا بها أعمقَ من جرحه
وينقلُ النغمُ إلى سمعها ... ماراحَ يشكو الصبُّ من برحه
لا تُنزلي الرأفةَ في قلبها ! ... فالما الإبداعُ في نوحه . . .

* * *

طفا على الكون سكونُ الدجى ... وقد غفا غيرُ عيونِ الزهرْ
وخفَّ في الأجواء عبقُ الشذا ... ونامتِ الأكوانُ إلا القدَرْ
هبَّا إلى الرقص يُحيِّيهما ... في صفحةِ المشرقِ ضوءُ القمر
من يُنبئُ الإلفين أن القضا ... مُبدِّلٌ صفوَهما بالكدر ؟

* * *

تسلَّل الصلُّ إلى جسمها ... بوخزةٍ من وَخَزاتِ المنونْ
فلم يكن في عمرها فسحةٌ ... لخاطبتْ محبوبَها بالسكونْ
يا ليلةً ضلَّتْ مسراتُها ! ... وما اهتدتْ إلا عيونُ الشجونْ!
زَفوا عروسَ الموتِ يا ويلتا ! ... للموتِ، ماتُغني فتاها الشئون(١)

* * *

استنطقَ القيثارَ لكنما ... قيثارُه المحزونُ لا يُسعدُ
سعى إلى وادي الردى ذاهلاً ... لكي يناجي روحَ من يعبُد
أصغى إليه الموتُ في فترةٍ ... فجاءه يسألُ ما يقصدُ ؟
فقال : والقيثارُ في شجوه ... لي عندكم محبوبةٌ ترقدُ

* * *

يأيها النادي إلى عالمٍ ! ... داخلُه المفقودُ لا يرجعُ
ليس شفيعٌ للذي جاءنا ... بمهجةٍ محزونةٍ يشفعُ
أجابَ عندي لكَ أغنيةٌ ... أنشدَها قلبي ، فهل تسمعُ ؟
ثم انبرى يَنفُثُ من حزنه ... ما تنهى حزناً له الأدمعُ

* * *

رقت له زوجُ الردى فانثنت ... تستعطفُ الموتَ على من نزلْ
قالت له : عطفاً على هائمٍ ... ليس له من بعدها من أملْ...
أرجع إليه من سَبَت عقله ... نوَّارةَ الوادي ، ونورَ المقل
قد أرعنَ الوادي برنانه ... ألم يُلن قلبك هذا الغزَلْ ؟

* * *

قال له الموتُ وقد راقَهُ ... ورق ، والقلبُ أسيرُ النغمْ
أخرج من الوادي، ولا تلتفت ! ... إني معيدٌ خلقها من عَدَمْ
فطمَّ القيثارَ من بشره ... وخفَّ جذلانَ ، سريعَ القدمْ
يسبق من تسرى بأعراقها ... الروحُ وتهتزُّ اهتزازَ النَّسَمْ

* * *

مشى وئيداً مرهفاً سمعه ... لعله يُصغي إلى جرسها

(١) المراد بالشئون الدموع من قبيل المجاز المرسل

أصغى إلى الأزهار من حزنه ... أصغى ، فلم يسمع سوى همسها
الزهرُ والأعشابُ فى يقظةٍ ... كأنها تمشى إلى عرسها
أوقعُها ألينُ من وقعِها ؟ ... أم حسُّها أرفقُ من حسِّها؟

* * *

رنا إلى خلفُ على رقبةٍ ... وقد عراه الشكُّ من عودها
إن لم تعد حيةً فلأعد ! ... إنَّ الردى أهونُ من فقدها
فأبصرَ الغادةَ شفافةً ... كشعلةٍ تسطعُ من وقدها
ولمعةُ الأحلامِ فى عينها ... وجذوةُ الأشواقِ فى خدِّها

* * *

تقابلا ! لكنَّ صوتَ الردى ... صاحَ ، فخالَت كُتلةً من ترابْ
فلم يعانِقْ غير أحلامِه ... ولم يُشارِفْ غيرَ لمعِ السرابْ
وهاتفٍ صاح به : يا فتى ... عُدْ للهوى الباكى ، وعُدْ للعذابْ
واحمل بقايا العود ، لا تمتهلْ ... حرَّقتَهَا : ليس لها من إيابْ

* * *

غداً إذا آبَ وآلامُه ... هادئةٌ ، يسكُتُ قيثارُه
غذوه بالآلام لا ترأفوا ... ترِنُّ بالآلام أوتارُه
لا تقتلوا الأشجانَ فى نفسه ... تفيضُ بالأشجانِ أشعارُه
لولا الذى نسكُبُه يا ندى ! ... ماضحِكَتْ فى الروضِ أزهارُه

* * *

لنا بآلامِ الورى لذةٌ ... وبالنَّدَى يُشرِقُ لونُ الزهرْ
نريدُه يشدو لنا ، فليعدْ ! ... حليفُه الهمُّ وطولُ الضجرْ
نريده يشدو فلا تقطعوا ... من معزَفِ الألحانِ هذا الوترْ
قد يَطرَبُ اللهُ وأملاكُه ... لنكبةٍ تُنطِق قلبَ البشرْ

* * *

للأرضِ من قلب الفتى مِزقةٌ ... ومزقةٌ يرفعها للسماءْ
فوزِّعِ القلبَ على أهلِه ... وامنحْ من الآلامِ معنى الهناءْ
خُلقتَ هتافاً فلا تبتئسْ ... هل نتاجُ الطيرِ إلا غناءْ ؟
إن تَبقَ منه بضعةٌ فلتكنْ ... هديةً مشكورةً للفناءْ . . .

دمشق — خليل هنداوى

# ظمأ على ظمأ

بقلم فريد عين شوكة

ظمأ على ظمأ وليس لمهجتى ... ريٌّ سواك يَبُلُّ حرَّ ظمائى
يا مهد أحلامى ومُتعة خاطرى ... ومناط آمالى وفيض رجائى
أنت الحياة ولا أزيدك بعدها ... وصفا ، فذلك منتهى إيفائى
كم ذا تشعُّ بخاطرى فأغيب عن ... صحبى ولا أصغى إلى خلصائى
وأظل أسبح فى هواك وألتقى ... بك فى الخيال وأنت عنّى نائى
وأراجع العهد الحبيب المشتهَى ... فلعل فى ذكراه بعض عزائى
والصحب من حولى عيون تجتلى ... حالى وتلحظنى على استحياء
حتى إذا جمح الحنين ولج فى ... خلدى وألهب بالأسى أحشائى
مدُّوا إلىَّ عيونهم وتساءلوا ... عما يقول بشاشتى وصفائى
فأحار ثم أجيب غيرَ موفَّق ... مع وفرة الأعذار فى حوبائى
يا غائباً عن ناظرىَّ وليس فى ... قلبى سواه يرِفُّ بين دمائى
كم أشتهى برح الضنى لتعودنى ... وأراك رأى العين فى جلسائى
يا مستريح البال من عبث الهوى ... لو كنت تعلم فى نواك شقائى
الفرقة الهوجاء قد رانت على ... كبدى فيا للفرقة الهوجاء
شتان ما بينى وبينك فى النوى ... كالبعد بين قرارتى وسمائى
ما أبعد الحالين ! أنت منعَّم ... غافى العيون على رضًى وهناء
تسعى لك الدنيا وتحتشد المنى ... للقاك كل صبيحة ومساء
وتعيش فى وادى الهوى متفيئاً ... أندى الظلال وأكرم الأفياء
وأنا ، وقاك الله من سَرَف الجوى ... وكفاك ما ألقى من الأعباء !
وأنا — كما تدرى — أهيم بمهمه ... قفر الجوانب موحش الأرجاء
حرّانُ تلفحنى الهواجر باللظى ... حتى تذيب عزيمتى ومضائى
ظمآن أستسقى الغمام وإنه ... ليضن أن يهمى بقطرة ماء
حيران ما أرتاح لحظ بصيرة ... حتى أعاف إقامتى وثوائى
والوعة المهجور فى وادى النوى ... مما يساوره من البرحاء
يا جنة السلوان ، تاهت عزمتى ... من فادح الذكرى وخار بنائى
فتى أفىء إلى ذراك وأستقى ... بَرْد العزاء ونشوة التأساء

فريد عين شوكة

فصول ملخصة فى الفلسفة الالمانية

# ١٨ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

## فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

الآن تبين لنيتشه أن هاوية سحيقة تفصل بينه وبين شوپنهاور وڤاجنر ، وقد تقبل مذهب التشاؤم من قبل ليتخذه سلاحاً يصرع به التفاؤل الخادع ، وقد بدا له أن نقد الوجود نقداً مصحوباً بالتشاؤم هو من واجب كل نفس خالصة ، ولكنه لم يتقبل تلك النتائج السلبية التى استخلصها شوپنهاور من نظراته ، ولم يتقبل العدم وسلب الحياة كغاية منشودة فى الوجود . ولكن هذا للذهب العدمى الذى يستسر فيه الخطر ، قد لا يكاد يقل مذهب التفاؤل المطلق عنه خطراً ، فان جيلنا إذا نمت فيه الروح الراضية القانعة والقلات الخانعة ، كان هذا منه علامة الوهن والضعف والانحطاط . تنشأ فى جيل تعب من الحياة وتصدع من الألم ، ويرتاح إلى الراحة المتمثلة فى العدم ، وهكذا بدت لنيتشه مسألة جديدة شغلته طيلة حياته . . . ما هو منشأ هذا الانحطاط الحديث ؟ ماهى العلامات التى ساعدت على نشره . وما هو داء العدمية ؟ وما هو دواؤه ؟ ولم يكد يبلغ هذه النقطة حتى وجد أن حكمه على ذينك المعلمين قد تحول من الكل إلى الكل . وإذا برفيقيه اللذين كانا عدته فى مكافحة التفاؤل يغدوان خصمين عنيفين له تثقل عداوتهما عليه وعلى المجتمع . وأدرك فى النهاية أن ثباته على صداقتهما فيه خطر عليه كبير ، فاذا لم يبرأ من هذه الصداقة ويخلص من تأثيرها ومرضها فانه لن يتاح له أن يقف أمام نفسه واعياً همها قاهماً نجواها لابساً لباسها ، ولن يتاح له أن يأتى الناس بانسانه الكامل الذى أوحته اليه تعاليمه الجبارة فيما درس من عبقريات اليونان ، فنفض عنه هذه الزخارف الصبيانية التى يتحلى بها أسلوب « ڤاجنر » ووجد فيه ذلك الدليل الأمين الذى ينفع للفكر الذى يبغى أن يدرس هذه النفس وينحدر إلى أعماقها . فهو اعتنق مذهب « ڤاجنر » بادئ ذى بدء ليصل إلى هذه النفس . والآن يحاول أن ينجو من حبائل هذا الساحر . « إن ما يشغلنى الآن هو الشفاء . . . لم يكن « ڤاجنر » إلا علة من علل » . . على أن الأدبة الأدبية قد ارتاعت لهذا الانقلاب وهذه المفاجأة . وأجمعت كلها الحملة على نيتشه العقوق الذى رأت فيه التاكث للعهود . وأخذت الأدبة تبحث بتأويل شتى لمعنى هذا الانفصال . وكلها أزمعت القول بأن نيتشه كان فى الحالة الأولى خير من تفهم « ڤاجنر » ووقف على دقائق مذهبه ، وكان تحليله الأول له خير ما أخرجه ناقد محلل عن هذا الفنان . وعللت بأن ما عراه من مرضه العقلى الذى ساقه إلى قطع علاقاته مع المجتمع ، هو الذى ساقه إلى التنكر لأصدقائه ، ولكن هذا التعليل تعليل فاسد يفسد على الرجل كل فلسفة ، وهو الذى كتب نظراته وأعطى مذهبه حراً مفكراً مختاراً . لم يكن مجنوناً ولا مخبولاً يوم طعن «ڤاجنر» ونال من مذهبه . أما أصدقاء نيتشه فهم يعزون ذلك إلى انخداع نيتشه بهذا الفنان . وهنالك آراء تقاربت تجيء طوراً مع نيتشه وتارة عليه . أما الذين يعتبرونه فهم ينقمون منه هذه الشخصية أو هذه الأنانية التى قادته إلى نكران الصداقة ، زاعمين أن شخصية نيتشه لا تود أن ترى ظلاً لشخصية غيرها ، وشخصية نيتشه فى الحقيقة شخصية ذاتية قوية ، لأن الرجل يرى أن الشخصية هى كل شىء ، يُضحى فى سبيلها بكل شىء ولا يُضحّى بها فى سبيل أى شىء . فوجد نيتشه أن شخصيته تكاد تفنى فى شخصية « ڤاجنر » وهو الذى التصق به واتصل لمجرد الوصول إلى نفسه وتفهمها . ولم يجعل منه رسولاً هادياً ولا مثلاً سامياً . وهكذا أخذت هذه الشخصية الغالبة تضيّق عليه ويضيق بها ، وتخنق صوته الحقيق ، فليضحّ بكل شىء فى سبيل ذاته . ولعل نيتشه أدرك أن القوم سيختلفون فى تعليل هذا الانقلاب فكتب هذه الرسالة التى تنطوى على سفاهة ولون تفكيره . « كنا صديقين غريبين . . . . . كنا كركبين . كلاهما له غايته وله سبيله . . . . قد نتلاقى ونرفع أعلام اللقاء كما فعلنا . . . وفى هذه اللحظة ذاتها قد رسا المركبان فى مرفأ واحد ، يغمرها شعاع واحد ، كأنهما مقدمان على هدفهما ، وكأن هذا الهدف واحد عندهما ، ولكن الضرورة التى لا تُدفع قد تقذف بمركبينا قذفة جديدة نحو بحار مختلفة وأنواء متباينة . وقد نتراءى ولكن لا نتلاقى . كم لوحتنا الشمس والأمواج ! نظل غريبين لأن الشريعة الغالبة تريد ذلك . .

ولكن صداقتنا القديمة تبقى شيئاً قدسياً . . . وهكذا نريد أن نؤمن بصداقتنا « في النجوم » حتى في العهد الذي يجب أن نكون فيه خصمين على الأرض »

أليس في هذه الكلمة ما يجعل نيتشه ربيئاً شريفاً بإزاء خصميه وأنصار خصميه ؟

## نيتشه الفيلسوف !

— ١ —

لم تكن نهاية عمر نيتشه إلا معركة متصلة الأسباب ، يشنها صاحبها على الداء الذي خامره ، يصرعه حيناً وحيناً يصرعه . وهو خلال ذلك يطول صراعه وعند نزاعه ، يحول الداء بينه وبين اتمام عمله الذي تصدى له ، ولا يشعر بالمجد الذي صار يركض اليه في أصقاع العالم

هذه الفلسفة الغريبة الشاذة قد شك عند مناقشتها النقاد الذين لم تتسع لها عقولهم ، فقالوا عنها : إنها فلسفة طائشة جاءبها مجنون ، قد تمخض بها الجنون فناً من قبل ! وهؤلاء قد ظلموا الرجل ميتاً كما ظلمته الطبيعة حياً ، على أن شذوذ هذه الفلسفة لا يدعو إلى حسبانها فلسفة مجنونة ، فقد كتبها صاحبها واعياً وغالب بها ألمه قبل أن يستحيل إلى جنون ، ومهما ذهب النقاد في تعليل جنون نيتشه : أهو جنون اكتسابي أم وراثي ، فان الرجل قد استطاع بما أوتي من عبقرية سامية أن يحدث في صفحة الحياة أمواجاً عنيفة بالحجر الذي ألقاه . وبهذا لا ينبغي لنا أن نعتقد أن الجنون أثر في آثاره وهو الذي دل على وعي خارق في أحد نوباته وأعنف آلامه

— ٢ —

أراد نيتشه آلامه ، وعمل على تحملها غير مستثقل ولا مستضعف ، يحولها إلى الحاجة التي يريدها ويستخلص منها ما يلائم حياته . فاذا لم يكن هذا الرجل جديراً بالرأفة والشفقة لأنه لا يريدها ؛ فهو جدير بالاحترام . والبطل يحترم مستلئماً ومكفناً

أول نعمة احتسبها للألم أنه أنقذه من مهنة التعليم ودراسة اللغات المندثرة ، إذ أخذ يحس أن هذه المهنة برغم شرفها لا تتلاءم والغرض الذي تتوق إليه روحه . فهو فيلسوف قبل أن يكون عالماً بدراسة اللغات . وأخذ يشعر بأن وفاءه لهذه المهنة دفعه إلى قتل أزهى أيامه وتعطيل دراساته ، فما أثقل اليوم على ظهره هذه الاعباء ! فجاء الداء وأجبره على تحطيم كل حلقة تربطه بالماضي الذي أصبح بعده غريباً عنه وهو منه براء فبدل حياته بحياة ثانية تختلف مظاهرها ، وألقاه في عزلة عميقة لا يقر فيها إلا إلى نفسه لأنها حرمت عليه الانكباب على المطالعة والانصراف إلى الدرس . فهو اليوم وحيد مع نفسه ، أمام نفسه . يسمع نداء من كان في أذنه وقر عنها . فرحت اليوم نفسه بعودته إليها ، بأوبته إلى العزلة والراحة الخالدة : هذه النفس التي كادت تقتلها الحادثات وتطغى عليها جبلة المجتمع قد نفضت عنها الأكفان ورفعت صوتها الرنان « ما تذوق يوماً من السعادة ما تذوقه خلال أيام داؤه لأنه عاد إلى نفسه . وهذه العودة إليها كانت شفاءه . وهذا الشفاء يتلوه شقاؤه المادي »

على أن الداء لم يزد نيتشه إلا احترازاً في النظر إلى مسائل الكون والحياة ، وهو عاكف على التطلع إلى هذه المبادىء الفلسفية ، ولكن يراها بمجموعها جملة مبادىء هي حقائق بعينها ؛ اطلع اليها كأنها ابنة طبع مبدع وشخصية مبدعة ، ومما ينبغي أن ينظر اليه بعين الاعتبار مسألة تأثير الصحة والسقم في العقل البشري ، فاذا تألم جسدنا — وهو العقل الأكبر — فالعقل الصغير لابد متأثر بما نزل بالعقل الكبير ، وإذ ذاك يسأل السائل : هل هذا المذهب علامة من علامات صحة صاحبه أو انحطاطه ؟ وقد أيقن نيتشه بأن السقم زاده احتراساً وانتباهاً من سلطة الأخيلة والأوهام التي تتولد عادة عند من راقت لهم صفحة الحياة وبهجة الدنيا « بلى ! انني أدرك أن الألم لا يحمل الانسان إلى المقام الأحسن ، ولكن الألم ينحدر بنا إلى أعماقنا ! » والانسان الذي يريد أن يناضل ما ينتابه من قلق جسماني متسيطر ينبغي له أن يفرض على نفسه قوة يقهر بها نفسه ، تخرج منها ارادته المتمرنة ظافرة كما يصنع الهندي المستسلم لألوان من العذاب ، أو أن يستسلم لزهد مطلق واعتزال كامل وهجر للارادة ، والانسان الذي يتمكن من هذا الامتحان يقضيه من غير ضعف ، يتعلم منه أن يتأمل مسائل الحياة بوضوح وجلاء ، لا يخدعه عن حقيقتها شيء ؛ فهو يأبى أن تصرفه عن حقيقة الوجود هذه التشابيه والخزعبلات المترية ، وكأن دافعاً للانتقام والثأر من الحياة يتحرك في طوايا نفسه ، يريد أن يستبدل بها آلاماً تتولد له حين

يقابلها وجها لوجه يميط عن وجهها النقاب . ويترع كل زينة خادعة تتبرج بها لاغواء الناس ؛ وهو إذا أحب الحياة بعد ذلك فانه يحبها كالعاشق النيور المتحرز ، حبك لامرأة خدعتك وأصبحت مثار الشك عندك

يلاحظ نيتشه أن الألم هو الذى جعله متفائلاً ، والسقم قد علمه ما يبلغ تأثير الانحطاط الجسمانى فى عقل المفكر ، ولاحظ به كيف يسمى الألم إلى قهر عزة العقل الفلسفى ورد هذه العزة ضعفا وذلة وحزناً وكآبة . وأدرك ما هى المواضيع والروايا السماوية التى يلجأ اليها عقل المرضى والمنحطين سعياً وراء ما يخفف عنهم من قلقهم وكآبتهم . وأدرك بعد هذا كله أن كل فلسفة تضع السلم فوق الحرب ، وكل فضيلة تعطى للسعادة تحديداً سلبياً ، وكل علم من علوم ما وراء الطبيعة يرى أن فى مراحل الاعتدال والراحة التامة والأمل الدينى فى عالم خير من هذا العالم ، وفى برزخ غير هذا البرزخ ، يرى فى هذا كله حداً للرفعة والسمو ؛ إن هذه الفلسفة مهما كانت مظاهرها فهى تحمل طابع الفساد والانحطاط ؛ وآمن بأنه فهم أن كل هذه المذاهب الداعية إلى التشاؤم والركون المطلق تدل على أن أصحابها الواضعيها كانوا فى حالة مرض عضوى ؛ ولما أراد هذا المريض أن يشفى ركن إلى التفاؤل ؛ وقد نفسته أيام البلاء بالوقوف على أسباب التشاؤم ، فانصب على الداء بكل ما يحوى جسده ونفسه من عزم ، يقاومه فى معركة لاهوادة فيها ولا رحمة ، وبقوة روحه قد انتصر فى عالمى جسده ونفسه ؛ عاد متفائلاً ، وعادت اليه العافية ، « ألا إننى اكتشفتُ حياة جديدة ؛ اكتشفتُ نفسى . إننى قد جرعتُ الأشياء الكبيرة كما رشفت الصغيرة منها ، وجعلتُ من رغبتى فى الشفاء والحياة كل فلسفتى ، حذار جميعاً ؛ إن الأعوام التى انحطت فيها حيويتى ، هى الأعوام التى طلقتُ فيها تشاؤمى ، وغريزة الوقاية هى التى صرفت عنى فلسفة اليأس والفاقة »

(يتبع) خليل شتاوى


اليوم يقول الخير بالتجارة والصناعة :

إن كل المحاولات التى نجحت فى ارتفاع أسعار المنسوجات القطنية أو الصوفية فى أى بلد لا يمكن نجاحها فى بلد كمصر توجد بها أمثال :

محلات

الفرنوانى اخوان

وخاصة بالقاهرة بالعتبة الخضراء

فانها تحافظ دائماً على مبدأ

حماية الوطنيين من الغلاء ...

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض لله تعالى إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى . وبالتجائى الى كل الطرق لم استفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزول العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها الا بمحل عطارة

محمد طاهر الصاوى

بوكالة أبو زيد بالحمزاوى بمصر . ولم يكلفنى ثمنها سوى مبلغ عشرة قروش صاغ وباستعمالها مدة اربعة أسابيع كانت النتيجة مدهشة جداً .....

فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد ان كان بنسبة ٥٥ فى الألف لذلك اخذت على نفسى عهداً ان انصح بها المرضى واعتقد ان المحل المذكور لا يشاء خبر عن رسالها لكل مريض خدمة للانسانية متى ارسل قيمة الثمن المذكور . احمد ك . م .

# القصص

صور من هوميروس

## ٣ ـ حروب طَرْوَادَة

### إلى أسبارطه !

للأستاذ دريني خشبة

ـ « سمعت يا أبي قصة أختك المذنبة « هسيونيه » إذ أنا أرعى الشاء والبهم ، فكان قلبي يتفطر أسى ، كيف يسكت شعب عظيم كشعب طروادة على إهانة تصيبه في الصميم من شرفه ، وعار ليس أيسر من دفعه ، لكنه يغضي عليه ، ويتنام عنه ، كأن العزة القومية عند أهل هذا البلد ليست إلا أسطورة قديمة ، أو حلماً لا يدور لهم بخلد ! ؟ »

ـ « حسبك يا باريس ! حسبك يا بني ! إنها محنة كتبت على طروادة ، ، صنعها جدك بيديه ! »

ـ « جدي ؟ »

ـ « أجل ! جدك . . . أبي . . . أبي لا يوميدون ! هو الذي نكث بعهده لبطل الأبطال هرقل . . . الرجل العظيم الذي أنقذ هسيونيه من براثن هذا الوحش البحري الهائل . . . الوحش الذي فتك بمذاري طروادة . . . لقد أعلن أبي أن من يقتل هذا التنين فانه يتزوج هسيونيه . ولما قتله هرقل العظيم . . .

ـ « رفض وأبى أن يزوجها منه ! »

ـ « هو ذاك ! »

ـ « لم أسمع بهذا من قبل . . . ولكن كيف سمحتم لهرقل وملئه أن يستبيحوا طروادة ويذهبوا ببعض الأعزاء من أفراد البيت الملكي ! »

ـ « كنت طفلاً . . . وقد كنت بعض هذا السبي . . . ثم من كان يستطيع دفع هرقل ، أقوى أبناء زيوس ، وصاحب المجازفات الخرافية ! من كان يستطيع حماية طروادة منه ، بعد أن نكث الملك بوعده ؟

أنت كنت بعض السبي ؟ انت يا أبي ؟

ـ « أجل يا باريس ! وقضيت في أيدي أعدائنا الشرفاء أجل حقبة من شبابي ! لله كم كانوا كرماء حقاً ؟ . . . »

ـ « وكيف عدت إلى طروادة إذن ؟ »

ـ « مات أبي بعد حياة مفعمة بالمتاعب ، ولم يكن له ولي عهد غيري ، فتوجه الطرواديون إلى الأعداء يطالبونني ملكاً لهم ، بأي ثمن . . . ولكن أعداءنا كانوا أكرم من أن يبتزقوا الملوك أو يبيعوا الأمراء . . . لقد أعادوني معززاً مكرماً إلى وطني ، بعد إذ أخمد خصومتهم موت هرقل . . . »

ـ « ولم لم تعد عمتي هسيونيه يا أبتاه ؟ »

ـ « لقد تزوجها تيلامون يا بني ، وأحسبها الآن أبا »

ـ « ذلك أدعى لعودتها . . . إنها لا شك تتعذب في دار غربتها . . . مسكينة ! ! إن حدائق الخلد لا تجدي نفعاً إذا كانت سجناً لأحدنا ! »

ـ « هذا حق يا بني . . . ومثله القفص من ذهب يحبس فيه البلبل المحزون ! »

ـ « أنا حزين يا أبتاه . . . لا بد أن تعود عمتي . . . أفتأذن لي في الابحار إلى هيلاس [1] ؟ إذا أذنت ، فلن أعود إلا بها

* * *

الآلهة لا تكذب !

هكذا قالت ثينوس ! وإذا كانت الآلهة لا تكذب ، فلن يكذب أبوللو ! لابد أن تصدق النبوءة القديمة ؛ لابد أن يبحر باريس إلى هيلاس ليجر الخراب على طروادة ، وليخيم الموت في دارتها جميعاً . . .

(١) اسم بلاد اليونان قديما

الآلهة لا تكذب !

لقد أبحر إلى أسبارطة في يوم عاصف ؛ أسود من جبين الموت ! وأبرد من بطون القبور ! ولقد كان أسطوله العجب يرقص على نواصي الموج ، كما يرقص الطائر المذبوح في قبضة الفناء . . .

## هيلين (١)

ثمرة الحب الأولمبي الساحر ... ابنة زيوس ، الغزل ، زير النساء ؛ من ليدا الفاتنة ، التي حوّلها حبيبها كبير الآلهة ، وسيد أرباب الأولمب ؛ إلى بجعة بيضاء تتهادى في مرايا المستنقعات والغدران ، ليسهل عليه لقاؤها دون عزول . . . أو رقيب ! ولقد ولدت له هذه الطفلة التي كانت كقطرة المداد يعهر بها إعلان الحرب !

شبت هيلين وشبت في أثرها شياطين الفتنة ؛ وكبرت ، وكثرت تحت قدميها مصارع العشاق !

لقد كان جمالها أسطورةً مصورةً في السحب ، موشاةً بذهب الأصيل ! كانت نظراتها تتغذى بأرواح المحبين في غير شبع ، وتروي بماء حياتهم في غير ظمأ . . . وإن كان محبوها يحصون بالآلاف . . . !

وهي لم تعمد يوماً إلى قتل هذه الأرواح الظلومة ؛ ولم يكن ذنبها كذلك أن تنظر فتصرع ، أو تنفس فتُصمي ... ولكن القتل كان يذهب بأرواح عاشقيها عفواً كلما نظرت هنا أو هنا ... وذاك هو القتل البريء ...!

وكان لها فم شتيت حلو ، أودعت فيه السماء أسرارها ، وصبغته عرائس[٢] الفنون بحمرة القبل ؛ فهو دائماً يبتسم ، وكل ابتسامة منه تُحيي وتُميت !

وخدّاها الأسيلان كذلك ! لقد كانت لهما نعومة ولمعة ، و « نونة »[٣] خلابة ، هي ملتقى الفتنة بين الخد والفم والعين والأنف !!

ثم عنقها الطويل البلّوري الشفاف ، وجيدها المتلئ الخصب ! وجسدها الرخص المرمري ! وساقاها الملتفتان ، يختلط في بشرتهما بياض الندف بحمرة الورد !

هذه هي هيلين !

فاذا فترتْ العينين ؛ وأرخيت الأهداب الكحيلة السوداء ، ذاتَ الوطف ؛ وأرسلت نظراتك المذهولة ترف بالخد والجيد ، والفم النضيد ، فترتد إلى فؤادك بأحمال الحب ، وأثقال الهوى ... رأيت التمثال المعبود الذي خلب ألباب أمراء هيلاس ، وأجّج قلوبهم بالفتنة ، وقرّح أجفانهم بالسهاد !

* * *

لم تنشأ هيلين مع ذاك في حجور الآلهة ، إذ تزوجت أمها ، بعد أن هجرها زيوس ، من تنداريوس ، أحد أمراء هيلاس ، فترعرعت الطفلة في مهاد النعمة ، وسعدت بالهناءة والعيش المخفرج حتى كانت هيلين التي رأيت ! ؟

وقد تقدم إلى خطبتها كثير من سادة الأغريق ونبلائهم ، ولكن أحداً منهم لم تقبله هيلين بعلاً لها ... لا لعيب فيهم ... ولكن القلب !!

أجل ، لم يكن يتفتح قلب هيلين الأولمبية الرائعة ، إلا لكل جميل رائع ! ولما لم يكن في كل من تقدموا لخطبتها من هو سليل الآلهة مثلها ، فقد رفضتهم جميعاً ، وعلة ذاك هذا الدم المتكبر الذي يتدفق في عروقها ، وذلك الجمال المعبود الذي كان أكثر من أن يحصر في امرأة واحدة !!

وجرت الألسن في هيلين ، وجمال هيلين ، وعشاق هيلين . . والساخطين على هيلين ممن جرحت كبرياءهم لرفضها إياهم ، ولقي زوج أمها من جراء ذلك هولاً شديداً ورهقاً ...

تحدثوا أن عشاق هيلين ، ومنهم أبطال هيلاس وشجعانها وذوو الصولة والجبروت فيها ، كانوا يضربون معسكراتهم حول بيت زوج أمها ، يطمع كل منهم أن يفوز هو بيد هذه الفادة ذات الفاتن ، التي أذلت الأعناق العزيزة ، ورغمت بها الأنوف الأغريقية الشماء !

وخشي تنداريوس أن تشب الحرب بينهم ، لو أن هيلين قبلت أحدهم زوجاً لها دون الآخرين . . . وأسقط في يده حين تقدم منالايوس ، ملك أسبارطة ، وسليل الآلهة أيضاً ، إلى هيلين يطلب يدها ... فلما أسرّت الفتاة إلى زوج أمها أنها ترضى ملك

---

(١) ايلين أو هيلانه أخت كليتمنسترا من أشهر الأشخاص الكلاسيكية

(٢) Muses

(٣) الخد البارز المستدير خط عما على الأنف يزيده جمالا وقد أطلق عليه بعض الكتاب ( نونة ) ولا ندري هل توافق الرسالة على هذه التسمية ؟

أسبارطة بعلاً لها ، تضاعف فزعه ، وازدادت خشيته ، وأيقن أنه لو أنقذ من أمر ذلك الزواج شيئاً ، فان أمراء هيلاس بأسرهم يصبحون له أعداء ألدّاء ، وهو لا حول له بمعاداة أحدهم بمفرده ولا طول !!

ولجأ تنداريوس إلى الحيلة ...

لقد أقام حفلاً شائقاً دعا إليه كل من تقدموا لطلب يد هيلين ، وبالغ في إكرامهم والاحتفاء بهم ، ثم خطبهم فتحدث عن فتاته وما كان من أمر خطبتهم لها وعدم التوفيق في إنجاز شيء مما أقدموا له واختلفوا فيه ... : « أفان بدا لهيلين يا سادة أن تختار أحدكم ليكون لها زوجاً من دونكم انقلبتم على أعقابكم وثرتم بمن يقع عليه اختيار الفتاة فقتلتموه أو فضحتموه في عرضه ، وجعلتم اسم هذا البيت الكريم مضغةً في أفواه الهيلانيين وجيرانهم ؟؟ إنما نريد أن نتقي هذا الشر فلا يستطير ، ونتدارك الأمر ؛ فلا ندعه حجة بيننا ؛ ولن أكلفكم في سبيل ذلك شططاً . . . يمين ، يا سادة ، صادقة ، تقسمونها فتكون عهد الوفاء بيننا ، أن ترتضوا جميعاً ما ترتضيه هيلين ، وأن تكونوا يداً على من يحنث ولو كان أعزكم جانباً وأكثركم قوة . . . بل لتتفق جميعاً على أمر يكون أعم مما أشرت إليه ، أن تكون يداً على من تحدثه نفسه بالأضرار بهيلين أو بسَبْيِها ؛ فقد تحدث إليّ من عنده علم أن بعضكم ينتوي هذه النية السوداء . . . ينتوي أن يسرق هيلين إذا لم يكن من حظه أن يقع اختيارها عليه ليكون بعلاً لها ، وأنتم السادة النجب من عِلْية الأغريق وجيرة الأولمب ، أفترضون أن يحدث هذا الحدث في أمر كلكم شاركتم فيه من قبل ؟ ... »

ويجيب المدعوون في صوت واحد : « حاشا حاشا ! لنقسم جميعاً . . . » وأشرقت هيلين على الملأ ، وكادوا يفتتنون بعد إذ أقسموا ، لولا أن أرسلت الفتاة صوتها الموسيقي الرنان ... تختار ملك أسبارطة ، الملك منالايوس ، ليكون زوجها الوفي الأمين !!

وطأطأوا رؤوسهم . . . وانصرف أحدهم في إثر الآخر . . .

* * *

رسا أسطول باريس في مرفأ ليسديمونيا[1] الأمين ، وخرج الأسبارطيون وعلى رأسهم ملكهم ومليكتهم للقاء ابن بريام العظيم ، حيث شاع أنه ينزل ضيفاً كريماً على صاحبي العرش ، فيلبث أياماً في ضيافتهما ، ثم يعود أدراجه الى طروادة مصطحباً عمته الأيم هسيونيه !

وتقدم الملك والملكة فسلما على الضيف الشاب ، وتحرك الموكب الكبير في طريق حُفّت بالشعب الطروب ، وفُرشت بأوراق الورد ، وتأرجت في جنباتها أنواع الرياحين . وكانت فرق من الموسيقيين تعزف هنا وهناك ، فتراقص ألحانها العذبة حبات القلوب . وكم كان جميلاً رائعاً إنشاد الجنود وقد وقفوا صفوفاً صفوفاً ، كلما مر الموكب الملكي بفرقة منهم دوى هتافها حتى يبلغ عنان السماء . . . فاذا فرغوا وصلت هتافهم فرقة تالية . . . وهكذا . . .

وكان سرب من أجمل فيان اليونان وحسانها يحيط بالملكة الجميلة ، وقد قصرن ثيابهن وأرسلن شعورهن ، فبدون فتنة الركب ، وكن سحر الموكب ، ولفتن من باريس بصره وسمعه وفؤاده !

وكان الفتى يخالسهن نظرات مشغوفة ، وكن بدورهن يبتسمن له ويتبرّجن ، حتى التقت عيناه بعيني الملكة . . . فنسي نفسه !!

لقد خُيل له أن قلبه انخلع من مكانه الذي بين جنبيه ، ليتأرجح في مقلتيه ! أين رأى هذه الملكة من قبل يا ترى ؟ إنه لم يذهب الى الأولمب قط ، وهل لبشري أن تطأ قدماه أرض الأولمب فيرى مثل هذا الجمال الساحر ، والحسن الفتان ؟

الحق أن هيلين تعمدت أن تشك قلب باريس في قوة وعنف ، حين أدركت رُسُل العيون تنتقل بسرعة بينه وبين فيانها وحسانها ! فلما التقت عيناها بعينيه غمزت قلبه الضعيف الغض بسهم مُراش من عينيها الساجيتين ، انطلق الى جوانحه في بروقٍ من بسماتها . . . ورعود !

لقد زلزل قلبه . . .

وأحس كأن قُوى خفية تجذب روحه لتمرغها تحت قدمي هيلين ! وطفق يفكر ويفكر أين رآها من قبل . . . ولكن بلا جدوى . . .

ثم بدت له ڤينوس بحيث لا يراها أحد غيره . . . وقالت له : « هِيَ . . . هي . . . كن شجاعاً ! » . . . ثم غابت ربة الحسن . . .

فذكر ماضيه القريب ، وذكر ما وعدته به ڤينوس ، وذكر

(١) عاصمة أسبارطة قديماً وقد يطلق هذا الاسم على أسبارطة نفسها

أن هيلين إن هي إلا صورة أرضية . . . سماوية . . . من ربة الحب ، وأنها مخلوقة تخلقها ، عذوبة روح ، ورقة نفس ، ودفء دم ، وسحر عيون . . .

فصمم على أن تكون له ! !

* * *

ولبث باريس في ضيافة الملك أياماً كانت تتصرم كأطياف الأحلام ! ثم حدث حادث جلل في أطراف المملكة استلزم وجود الملك نفسه ليرى رأيه فيه ، فلما كان يوم السفر ودع منالايوس زوجته الحسناء ، وأوصاها بإكرام ضيفه العظيم ، باريس ، « ابن صديق ملك طروادة ! » . فطمأنته هيلين ، وخرجت تودعه ، حتى إذا كانت عند أسوار ليسديمونيا ، حيته تحية فاترة . . . وعادت لترعى عصفورها الغريد . . . ! !

أقبلت هيلين على ضيفها غير هيابة ، وأقبل هو عليها في غير وجل . أقبلت عليه تؤانسه كما أوصاها زوجها ! وأقبل هو عليها يغازلها ، ويبحث فيها عن أجمل امرأة في العالم كما وعدته ڤينوس !

« هيَ هيَ . . . كن شجاعا ! » . وهكذا كانت تتردد هذه العبارة المقتضبة في أذني باريس كلما ذكر الوفاء وشكران الجميل ؛ وكلما هم أن يبتعد بقلبه عن زوجة الملك الكريم المضياف الذي احتفى به وأكرم مثواه . . .

« هيَ هيَ . . . كن شجاعاً ! » إذن فليكن باريس شجاعا كما أمرته ڤينوس ! ليقترب من هيلين في هذه الخلوات الحلوة التي تمن عليه بها ، فتستطيل كل مرة إلى ساعات وساعات ؟

ليقترب منها ، ولتصب هي سلسبيلاً من الموسيقى في أذنيه المرهفتين لكل كلمة من كلماتها ... وليرشف هو هذه الخمر التي تتدفق من عينيها وأهدابها ... ليرشف من هذه الخمر حتى تثمل روحه ، ويسكر قلبه ، وتزيغ عيناه !

ليقترب ! ليقترب كثيراً ! ليمس جسده المشتعل ، جسدها المعطر الفينان ! إنها لا ترفض أن يكون ذراعه فوق كاهلها ! بل هي أيضا تنثر ذراعها فوق كاهله ؟ هاهما يتخاصران ! الخبيث يضغط ثديها الأيسر بشدة ! هل يبحث عما يكنه قلبها ؟ أم يفتش عن شيء مفقود في نفسها ؟ إن عينيه ما يتحولان عن عينيها ! إنه يحملق فيهما بشراهة !

قُبلة . . .

هي القبلة الأولى من غير شك ! هي الاعتراف الصريح بنضوج الحب !

وقبلة ثانية . . .

وهي القبلة المؤكدة لأختها الأولى ! هي عدم المبالاة بما عساه أن يكون ! هي أول شرط في عقد هذا الغرام الأثيم . . . ! هي الاعتداء الصارخ على عرض منالايوس . . . منالايوس العظيم ملك أسبارطة . . . وسليل الآلهة ! !

* * *

ـ « ألا يسرك يا هيلين أن نعيش سوياً أبد الدهر ! . . . »

ـ « ألا يسرني ! ما السرور إذن يا حبيبي باريس ؟ »

ـ « إذن فلنرحل في ظلام الفجر ! »

ـ « إلى أين ؟ »

ـ « إلى طروادة ؟ »

* * *

وأقلع الأسطول في غبشة البكور يحمل . . .

هيلين ! !

وعفا الحب عن عمة باريس ! عفا الحب عن الأيم هسيونيه !

( لها بقية ) دريني خشبة


القصص والأدب

في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم

حقق فيه مؤلفه ( ابن عبد البر ) أول من تكلم بالعربية ، وأول من وضع الكتاب العربي ، وتاريخ اجتماع الناس بعد الطوفان ، وأقسام العرب ، مع بيان أصول الشعوب العربية والأعجمية ، والكلام المشبع عن القبائل العربية

« ١٥٢ صفحة بستة قروش مصرية »

يطلب من مكتبة القدسي بباب الخلق بحارة الجباوي بدرب سعادة بالقاهرة

جنى الجنتين في تمييز نوعَي المثنيين للمحبي

هو المعجم الوحيد للمثنيات التي امتازت بها اللغة العربية على غيرها من اللغات الحية ، وقلما يخلو علم من العلوم العربية من مثنيات حقيقية أو تغليبية مما تكفل هذا الكتاب باستيعابه وتفصيله

« ١٧٢ صفحة بثمانية قروش ، يطلب من المكتبة المذكورة »

من اساطير الاغريق

# المحسن ...

[ مهداة إلى الأستاذ دريني خشبة ]

## للأستاذ محمد روحي فيصل

منذ آلاف السنين ، بينما الناس في اللهو والضلال كانوا منغمسين ، سُمع من جانب السماء صوتٌ هائل كأنه الرعد القاصف قد اهتزت له أطباق الفضاء ومادت منه جوانب الأرض ؛ فإذا بميازيب النور تجف على أثر ذلك ، والظلام يغمر الدنيا كلها ؛ كأنما الشمس الحبيبة — أمُّ الحياة — قد غاضت أشعتها الزاهية وانطفأ معناها الحي ، وإذا بالأنهار والينابيع والغدران تجمد وتكف عن السعي ، وقد استحال خريرها المؤنس الجميل إلى صمت كئيب موحش كصمت القبور ، وإذا بريح صرصر عاتية تهب مجنونة على الأرض فتقتلع الأشجار بأصولها وفروعها وتهيج الغبار ، وتختطف المنازل من أماكنها ، وإذا بالضواري المروّعة تنفر من مكامنها هائجة غاضبة تزأر ..!!

وريع الناس وجبنوا فما يدرون ماذا دهاهم من الخطوب ، ثم أقبل بعضهم إلى بعض يتساءلون : أي ذنب اقترفناه ، وأية فريضة لم نقم بها حتى صب علينا الآله العظيم غضبه وويله ؟

وكانت قافلة الحياة يومئذ من الشر والضلال في منزلة لم يعرفها التاريخ في أدنى عهوده ، تسير على غير هدى وإلى غير غاية في معمعة من الفساد وطريق من الرذيلة ، وكان رجال الفن أدق الناس شعوراً وأرهفهم إحساساً . فقال الشاعر : « إني نظمت في مديح الآله قصيدة رائعة منتزعة من النفس ؛ لا صادرة عن اللسان ، ما أحسب أن أحداً من الشعراء سيقفي إلى مثلها على كثرة المادحين ، أودعت فيه قلبي ودمي ، وحرقت لها نحي وكبدي ، ثم صغتها في لفظ عذب جميل ؛ فأنا أسبح بحمده ما نطقت ، وأنشر روحه أني حللت ، ولقد أجثو في محرابه خاشعاً متضرعاً ، أتلو آي التمجيد والاجلال ، فكيف يغضب مني وينقم عليّ ؟ »

وقال الموسيقي : « وأنا أيضاً لحّنت أنشودة قوية تحكي هديل الحمام وتغريد البلابل ، ورجّعتها ترجيع عاشق محزون ، ثم قدمتها هدية حقيرة للآله الجبار ، فلماذا غضب ..؟ »

وقال النحات : « أما أنا فقد صنعت له تمثالاً عظيماً يجمع إلى معاني الجبروت تهاويل الجمال ، وإلى قوة البنية رشاقة القسمات تُرى أيغضب الآله مني وأنا مجسّده ؟[1] »

وانتفض المصور وقال : « أأنا مغضب الآله إذن ؟ لقد أخذت زرقة السماء وخضرة الأوراق واحمرار الشفق ، ونزعت من الورود ألوانها ، والتمست من ذلك كله صورة لآلهنا الكبير فما زلت أعمل فيها وأنسقها حتى برزت حية ناطقة في إطار واضح مشرق ... »

ويضطرب الناس ، وتطغى عليهم حيرة جاهلة عمياء ؛ تتبينها في الوجوه الواجمة ، والنظرات الحائرة ، والخطى الثقيلة ! ويتداولون الأمر همساً ، ويلتمسون الخلاص من الخطب ، ويجمعون رأيهم على الذهاب إلى وادي عبقر ، موطن الوحي والالهام . فراحوا جميعاً إلى حيث يلاقون إلههم الناضب ، يتقدمهم الشاعر ساهم الوجه ، تائه البصر ، وحمل المصور لوحته وريشته العذراء ، وتأبط الموسيقي قيثارته المشدودة الأوتار ، وجمع النحات أزميله ومنقاشه وحجره ...

وفي لمحة خاطفة ، طلمت الشمس ، وغردت الطيور ، واستأنفت الأنهار سعيها ، ثم لامست الوادي غيمة كبيرة بيضاء هبط منها الآله الجبار !!

وخر الناس من الخشية سجّداً يلتمسون البركة والضراعة والغفران ! وكما يسمع الحالم في النوم سمعوا صوت إلههم يقول :

لقد بعثت فيكم رسولاً كريماً ينشر الرحمة ويعلمكم العطف والتقدير فتجاهلتموه !

بعثته والأخلاص ملء برديه وفيض إهابه فلم تقدروه !

هو خادمكم الأمين يبذل عرق جبينه لاصلاح مجتمعكم الواهي وينفق المال الذي بين يديه دون أجر غير أجري ؛ لأنه يعطيكم أكثر مما يأخذ منكم ، ويبني المستشفيات والملاجئ ، ويقيم دوراً للعلم فنسيتموه أو تناسيتموه !

وحق عظمتي ، لولا رحمتي التي وسعت كل شيء لجعلت الأرض فوقكم قاعاً صفصفاً ...

عند ذلك صاح الساجدون كلهم :

ما اسم هذا الرسول الكريم ؟

فأجاب الآله الجبار : المحسن

حمص

محمد روحي فيصل

---

(١) التجسيد : تمثيل الرب بطبيعته وهيئته في زي انسان ، والتعبير مقتبس من اليونانية Anthropamarphisme

# الهـــــدية

## للأستاذ بشير الشريقي

حدثني صديق لي وهو في مقتبل عمره ، وأول عهده بالوظيفة ، قال :

في صباح أحد الأيام ، وأنا متهيء للخروج إلى عملي ، إذا بباب غرفتي يطرق ، وإذا بالطارق فتى جميل المحيا ، يقظ اللامح ، يحمل على يديه سفطاً مستطيل الشكل ، كبير الحجم ، فما وقع نظري على الفتى والسفط بين يديه حتى تولاني الانقباض ، لأنني عرفته من هو ؟ وأين يشتغل

تمتم الفتى : لقد عاد عمي الشيخ من دمشق مساء أمس وهو يهديك تحياته ، وقد أرسلني بهذا السفط هديته من دمشق اليك

ولكن عقلي كان قد اهتدى إلى أني موظف ، وأن لصاحب هذه الهدية مصالح كثيرة عندي يهمه قضاؤها

فبادرت الفتى بتؤدة : ما هذا ؟ ليس من الضروري . . . . له مني الشكر . . . أعد السفط اليه . . . ليس من الضروري . . . ولكنه قاطعني بأدب : لقد بعث به الشيخ اليك . . وهو هديته من دمشق . . . وسيغضب عليّ إن رجعت به

قلت بلهجة الآمر : أرجعه . . . سوف لا آخذه

عاد الفتى بالسفط وهو لا يصدق أني رفضت قبوله ؛ وعدت فأغلقت عليّ باب غرفتي أفكر في الذي صنعت : لولا أنه صاحب حاجة عندي لما خطرت هذه الهدية له على بال ولما فكر فيّ لحظة ، إذ لا صداقة بيني وبينه ، وأنا لا أراه إلا في الدائرة حين يريدني في أمر رسمي ، أو في الطريق فنتبادل التحية من بعيد ، وفوق ذلك فهو من التجار الذين يحاسبون على السحتوت والقطمير ، والذين يعطون القرش ليستردوه قرشين ؛ وهكذا كان الظاهر محاطاً كله بالريب فلم يدخل في نفسي أن هدية الشيخ منزهة عن الغرض

وبينا أنا على هذه الحال ، إذ أرى الشيخ من نافذة غرفتي قادماً إليّ ، فأسرعت وفتحت له الباب :

أهلاً وسهلاً بحضرة الشيخ ، الحمد لله على سلامتك ، تفضل . . . جلس فاذا به قد تجاوز الخامسة والخمسين ، ولكنه لا يزال محتفظاً بقوته ونشاطه ، قد تدلت من ذقنه لحية كبيرة بيضاء ، يرتدي سروالاً وجبة ، نظيف البزة ، وسيم الطلعة ، حسن القيام على نفسه

— ماذا فعلت يا ابن أخي ، لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية

قلت : ويرد الصدقة

قال : ويرد الصدقة ؟! ولكن قسما بهذه اللحية — وقبض على لحيته — إن الهدية قد صنعت على اسمك وحملتها من دمشق اليك

قلت : أشكرك . . . أشكرك . . .

قال : ولا أزيدك علماً أنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه : « من أهدى اليه شيء ورده فكأنما ردّه على الله »

قلت : صدق رسول الله الكريم .. أنا لا أشك في حسن نية الشيخ ، ولكن القانون يا عم . . . هذا القانون المكلفون نحن قبل غيرنا بحفظه واحترامه ينهانا عن أخذ مثل هذه الهدية ، فهي في عرفه رشوة والعياذ بالله ، يستحق معطيها وآخذها شديد العقاب — إليك المواد — ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٦ من قانون العقوبات العثماني — وقرأت له نصوصها — إنه لأمر خطير

وقلت له :

ولكي تثق بواسع علم المشرّع الذي سن لنا قانون العقوبات ويبعد نظره أروى لك هذا الحديث الشريف المثبت في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إليّ فقال النبي : ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إليّ فهل قعد في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ! »

وهنا صمت الشيخ ولكن لسان حاله كان يقول :

— لقد عرفت كثيرين غيرك من الموظفين كباراً وصغاراً فلم يحدثني واحد منهم عن مواد قانون العقوبات ولا عن حراسة القانون ، لم يذكر لي واحد منهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع عامله على الصدقة بل كان أمري معهم ولا يزال على العكس تماما فأنا مكلف عند كل خطوة وعند كل حاجة أن أقدم الهدايا وألبي الطلبات . . . .

* * *

وإلى هنا انتهى حديث الصديق فوجدته جديراً بالتدوين ؛ فدونته في الحال ؛ وها هو كما سمعته بلا زيادة ولا نقصان ؟

(شرق الأردن) بشير الشريقي

# البريد الأدبي

## جورج رسل عميد الشعر الارلندي

من أنباء ارلندة أن شاعرها الكبير جورج وليم رسل قد توفى فى الثامنة والستين من عمره . وكان رسل عميد الشعراء الأرلنديين منذ أوائل هذا القرن ، كما كان السير وليم وطسون عميد الشعراء الانكليز ، وقد توفى كلاهما هذا الصيف ، ففقد الأدب الانكليزى بذلك آخر زعماء المدرسة الشعرية القديمة ؛ وكان مولد جورج رسل فى لورجان سنة ١٨٦٧ ؛ وتلقى تربيته فى دبلن ودرس التصوير ومارسه ؛ ثم غدا زعيما لحلقة أدبية كانت تنشر صحيفة عنوانها « الثيوسوفى الأرلندى » ، وفيها نشر أشعاره الأولى التى جمعت بعد ذلك فى ديوان سمى « أغنية وطنية متناثرة » ( سنة ١٨٩٤ ) وفى مجلد آخر سمى « أنفاس الثرى » (سنة ١٨٩٧) . وكان رسل إلى جانب مواطنه الشاعر بيتس زعيما للأحياء الأدبى فى أرلنده ؛ ودرس رسل التصوف الشرقى ، وتوثقت أواصره بزميله بيتس ؛ وكان يعمل مدى أعوام طويلة كاتباً فى شركة للألبسة ، فقدمه صديقه بيتس إلى الزعيم والمثرى الأرلندى الكبير السير هوراس بلانكيت وأوصاه به خيراً ، فألحقه بالشركة الزراعية الكبيرة التى ألفها لمعاونة المزارعين ؛ وتولى رسل الطواف على دراجة فى القرى الأرلندية يستفهم من السكان عن أحوالهم ورغباتهم . وفى سنة ١٩٠٥ اختاره السير بلانكيت لتحرير صحيفة الجمعية ، وهى صحيفة سياسية تعاونية ، فاستمر فى تحريرها حتى سنة ١٩٢٣ . وفى ذلك العام أصدر رسل لنفسه صحيفة جديدة عنوانها « السياسى الأرلندى » فاستمرت حتى سنة ١٩٣٠ . وأصدر خلال هذه الفترة عدة مؤلفات شعرية ونثرية منها كتاب « لب المعرفة » (سنة ١٩٠٣) ورواية مسرحية عنوانها « ديدرى » (١٩٠٧) وكتاب « مثل المجتمع الأرلندى الريفى » ( ١٩١١ ) وقصيدة كبيرة عن ثورة سنة ١٩١٦ عنوانها « التحية » ، وديوان عنوانه « السحر وقصائد أخرى » وغير ذلك مما يضيق بذكره المقام

وقد كان رسل وطنياً كبيراً ، يشتغل بالسياسة إلى جانب الأدب ، ويسخر الأدب لخدمة وطنه ، وتأييد مثله العليا فى الحرية والاستقلال ، وكان أيضاً انسانياً عظيما يبذل وسعه لمعاونة البائس وعونه ، وانتشال الطبقات الدنيا من وهدتها

## فكتور هوجو الصحفى

كان فكتور هوجو شاعر فرنسا الأشهر صحفياً كبيراً ؛ وقد تناول هذه الناحية من حياة الكاتب الكبير ، مسيو بول سوشون ، بمناسبة الذكرى الخمسينية لوفاته ، فقال : إن هوجو قد مارس خلال حياته ثلاثة أنواع من الصحافة : الصحافة الأدبية ، والصحافة السياسية ، والصحافة الخبرية . وقد بدأ هوجو حياته الصحفية فى جريدة « كونسر فاتير لتريز » ، وكان يكتب فيها فصولاً نقدية ، أثارت إعجاب النقدة يومئذ ، ووصف ادموند بيريه يومئذ كاتبها بما يأتى : « صحفى وناقد ، كانت لتجاته الأولى لذعات أستاذ مبرز ؛ وعند هذا الفتى الذى لم يجاوز الثامنة عشرة موهبة نثرية لا تقل عن موهبته الشعرية . ومما يلفت النظر لأول وهلة سعة معارفه الأدبية ، فهو يكاد يستوعب كل شعراء العصر القديم . ثم الشباب ! وهذا هو الذى يفيض على صحف « الكونسر فاتير لتريز » سحراً لا يقاوم »

ولما صدرت فى سنة ١٨٠٩ أول طبعة من مؤلفات شينيه ، كتب هوجو فى التعليق عليها أن نزعة شعرية جديدة قد ولدت ، ولما صدر ديوان « التأملات » استقبله بحماسة وترحاب

أما فى الصحافة السياسية فان هوجو لم يرتفع إلى هذا المدى وقد أبان مسيو سوشون فى بحثه وجوه الضعف التى كانت تغلب على الشاعر الكبير فى هذا المضمار . بيد أن هوجو كان من الناحية الخبرية صحفياً لا يجارى . وقد كان يقدم أخباره للجمهور تحت عنوان « أشياء رؤيت » . وقد ظهرت مجموعة منها بعد

وفاته تحت هذا العنوان ، وفيها يقيد الحوادث التي شهدها خلال حياته وخواص العظماء الذين لقيهم

تلك صفحة من حياة هوجو لم تأخذ حقها من التعريف في حياة الشاعر الكبير

## آثار قديمة في سوريا

كشفت الحفريات الأثرية التي يقوم بها العلامة الأثري الفرنسي أندريه بيرو في سوريا على مقربة من بلدة أبي كمال عن آثار هامة ترجع إلى نحو ثلاثة آلاف عام قبل المسيح ، وتدل على أن حضارة زاهرة قامت في ذلك العهد في تلك الأنحاء ، وتدل النصوص والنقوش التي عثر عليها أن هذه المنطقة كانت منزل الحيثيين الذين استطاعوا أن يقاوموا طويلاً غزوات البابليين والمصريين ، أما الآثار المكتشفة فهي عبارة عن بقايا قصر تبدو منه مراكزه الوسطى ، ويلوح أنه كان مقراً ملوكياً ، وملاذاً للكبراء ومركزاً لبعض الصناعات التي كانت زاهرة في ذلك العصر ، وهنالك مايدل على أن حصونه التي كانت محيطة به قد قوضت ، وأن حمورابي زعيم البابليين قد اقتحمها وأحرق القصر

ومن الآثار الغريبة التي اكتشفت فصل حقيق من فصول التعليم بقاعده وأدراجه ، مما يدل على أنه كان مدرسة يؤمها الشباب . وتدل مواقع القصر في مجموعها على أن كبراء هذا العصر كانوا يتمتعون بضروب من الرفاهة والترف ، لم تعرفها العصور الوسطى في أوربا ؛ وتتخلله طرق مستقيمة ذات زوايا قائمة ، وسلالم داخلية كبيرة ، ومخازن للمؤن ، ومجار منظمة تحمل المياه والفضلات إلى خارج المدينة ، ووجدت في معظم الأبنية المجاورة آثار حمامات وأحواض للاستحمام صنعت من الفخار المحروق

## برنارد شو في التاسعة والسبعين

احتفل الكاتب الانكليزي الأشهر جورج برنارد شو أخيراً ببلوغه التاسعة والسبعين من عمره ، وذلك في بلده ومسقط رأسه هر نفوردشير . وفي يوم الاحتفال بمولده اعتكف الكاتب الشهير واحتجب طول الصباح في مكتبه ؛ وعند الظهر أعلن أنه قد انتهى من كتابة الفصل الأول من قطعة مسرحية جديدة ، وقال إنه سيعالج فيها موضوعاً جديداً هو « الحب »

## هول كتاب قواعد التحريث للقاسمي

أليس من الحق وقد كتب عن هذا الكتاب كاتبان من أكبر كتاب العربية في كبرى مجلاتها ، وكان السبب في هذه الفصول الممتعة ، وهذه المساجلات الأدبية الطريفة بين أمير البيان الأمير شكيب أرسلان ، ومؤرخ الشام وكاتبها العلامة محمد بك كرد على أن ننوه في (الرسالة) بفضل هؤلاء الشباب الغير على الدين واللغة والثقافة الاسلامية الذين ألفوا « مكتب النشر العربي » ونشروا طائفة صالحة من كتب الفلسفة والحديث للغزالي وابن الطفيل والقاسمي وغيرهم ، وأنجزوا في مدة قليلة مالم ينجز مثله سواهم في برهة طويلة ؟

أليس من الحق أن نشكر للسادة الأذكياء المثقفين العاملين : ظافر القاسمي ، وداود التكريتي ، وعصام الانكليزي ، أعضاء « مكتب النشر العربي » قيامهم بهذا الفرض الذي قصرنا جميعاً في القيام به ؟ وثباتهم على تأديته على قلة التشجيع ، ورقة الحال ، وشدة الزمان ؟

( متأدب )

## ملكة الجمال في سوريا ولبنان

تقوم الزميلة جريدة ليزيكو الغراء بتنظيم مباراة الجمال التي كلفت القيام بهذه المهمة لتشترك ملكة الجمال في سورية ولبنان بمباراة الجمال في مدينة بروكسل وقد تقرر أن تقام حفلة كبرى في فندق بلودان يوم الخميس المقبل لهذه الغاية وتألفت لجنة من السيدة عقيلة رئيس الجمهورية والسيدة عقيلة وزير المعارف والسيدة عقيلة مدير البرق والبريد العام على أن يقوم بسكرتارية اللجنة السيد باسيل مكرديج مدير المطبوعات في وزارة الداخلية لانتخاب ثلاث أوانس واحدة من دمشق والثانية من حلب والثالثة من اللاذقية من بين المتباريات ثم تشترك الأوانس الثلاث في حفلة مباريات الجمال في صوفر مع الأوانس اللبنانيات اللواتي ينتخبن فيها الآنسة التي تتربع على عرش الجمال في سوريا ولبنان

وستكون هذه الحفلة تحت رعاية رئيس الجمهورية . (اليوم)

أقول : هذا بعض ما أنشيء له فندق بلودان الذي لم يُعص الله في الشام بمثل انشائه نبعث به إلى (الرسالة) بلا تعليق

( متأدب )

# الكتب

## كتاب الأموال

في ٦١٦ صفحة

لأبي عبيد القاسم بن سلام (١)

### للأستاذ محمد بك كرد علي

ولد أبو عبيد في هراة وأبوه مملوك رومي ، وتخرج في بغداد على أئمة وقته وروى عنه أئمة مذكورون ، وكان آية في النحو واللغة والحديث والفقه ، وعدّ أعلم رجال عصره بلغات العرب ، قال ابراهيم الحربي :

رأيت ثلاثة تعجز النساء أن تلد مثلهم : رأيت أبا عبيد ما أمثله إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحرث فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله قد جمع له علوم الأولين من كل صنف ، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء . وروى الناس من الكتب المصنفة لأبي عبيد بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والفقه وغريب الحديث والغريب المصنف والأمثال ومعاني الشعر وكتاب الأموال ، والغريب للمصنف زعموا أنه أجل كتبه

كان أبو عبيد خاصاً بعبد الله بن طاهر الوزير المشهور أغناه بما أعطاه ، ولقد بعث أبو دُلف إلى عبد الله بن طاهر يستهديه أبا عبيد شهرين ، فأنفذه إليه فأقام شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها . وقال : أنا في جنبة رجل لم يحوجني إلى صلة غيره ، فلما عاد إلى ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار . فقال : أيها الأمير قد قبلتها ، ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك ، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ففعل ، وهذا من العلم الحقيق والخلق الكامل ، وعزة النفس إذا فقدت من العلماء خاصة صار العلم تهريجاً ومهزلة

قالوا : ولما عمل أبو عبيد كتاب الغريب عرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يخرج عنا إلى طلب المعاش . فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر ، قال أبو عبيد : كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ؛ وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر أو خمسة أشهر فيقول قد أقمت الكثير . وكان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثا فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويصنف ثلثه . وذكر من ترجموا له أنه كان فاضلاً في دينه وفي علمه ، ربانياً متفننا في أصناف علوم الاسلام ، صحيح النقل لم يطعن عليه في شيء من أمره ودينه

غلب على أبي عبيد جمع المتفرق في الكتب وتفسيره وذكر الأسانيد ، وصنف المسند على حدته ، وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدته ، وأجاد تصنيفه ، فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه ، وكتابه الوحيد الذي ظهر بالطبع كتاب الأموال وهو كما وصفوه من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده . جرى فيه على أسلوب قدماء المؤلفين من إيراد الرواية والسند في الأحاديث ، لكنه لا يطيل في ذكر الرواة وينسب الحديث إلى آخر راوية معتمد ، ثم يشرع في شرح ما أبهم وتفسير ما أعضل من الأحكام ، يرجح ما هو أولى بالترجيح ، ويبين عن رأيه بصراحة . بأسلوب محكم سلس ينم عن إحاطته بالأقوال الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ، ثم يشير إلى عمل الصحابة والتابعين من بعده في أحكام الأموال وصنوفها والفيء والصدقات والجزية وفتوح الأرضين صلحاً أو عنوة ، وما يتبع ذلك من الأحكام التي قال بها القرآن أو فسرتها

(١) المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

السنة أو عدّلها بعض الصحابة بحسب الحال

فقد ذكر فى باب مالا يجوز لأهل الذمة أن يحدثوا فى أرض العنوة وفى أمصار المسلمين وما لا يجوز قول عمر (ض) « لا كنيسة فى الاسلام ولا خصاء » وقول عمر بن عبد العزيز : « لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار ، ولا تحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار » ، فقال أبو عبيد : أراه يعنى الكنائس والبيع وبيوت النيران يقول : لا ينبغى أن تكون مع المساجد فى أمصار المسلمين . قال أبو عبيد ، فهذا ما جاء فى الكنائس والبيع وبيوت النار ، وكذلك الخمر والخنازير قد جاء فيهما النهى عن عمر ، ثم قال : وأما وجوه هذه الأحاديث التى منع فيها أهل الذمة من الكنائس والبيع وبيوت النيران والصليب والخنازير والخمر أن يكون ذلك فى أمصار المسلمين خاصة ، وبيانه فى حديث ابن عباس . حدثنا أبو عبيد قال : سمعت على بن عاصم يحدث عن أبى على الرحبى عن عكرمة عن ابن عباس قال : أيّما مصر مَصّرته العرب ؛ فليس لأحد من أهل الذمة أن يبنوا فيه بيعة ولا يباع فيه خمر ، ولا يقتنى فيه خنزير ولا يضرب فيه بناقوس ، وما كان قبل ذلك فحق على المسلمين أن يوفوا لهم به . قال أبو عبيد : فقوله كل مصر مصرته العرب يكون التمصير على وجوه : فمنها البلاد التى يسلم عليها أهلها مثل المدينة والطائف واليمن ، ومنها كل أرض لم يكن لها أهل فاختطها المسلمون اختطاطاً ، ثم نزلوها مثل الكوفة والبصرة وكذلك الثغور ، ومنها كل قرية افتتحت عنوة ، فلم ير الامام أن يردها إلى الذين أخذت منهم . ولكنه قسمها بين الذين افتتحوها كفعل رسول الله (ص) بأهل خيبر . فهذه أمصار المسلمين التى لاحظّ لأهل الذمة فيها ، إلا أن الرسول كان أعطى أهل خيبر اليهودَ معاملة لحاجة المسلمين وكانت إليهم ، فلما استغنى عنهم أجلاهم عمر وعادت كسائر بلاد الاسلام : فهذا حكم أمصار العرب ، وإنما نرى أصل هذا من قول رسول الله (ص) أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وفى ذلك آثار ثم ساق الأحاديث ، والمأثور عن عمر فى جلاء غير المسلمين من جزيرة العرب ، وذكر بلاد الصلح كهَجَر والبحرين وأيلة ودومة الجندل وأذرُح . وذكر أحكام البلاد التى فتحها عمر كالشام ومصر والعراق الخ

ومما ذكر ، وهو ما نطيل بنقله لإرادة الوقوف على طريقته فى تأليفه ، (ص ١٦٩) أن عمر بن الخطاب استعمل عُمَيْر ابن سعيد أو سعد على طائفة من الشام ، فقدم عليه قَدمة فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عرب السوس وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئاً ، ولا يظهروننا على عوراتهم ، فقال له عمر : فاذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بعير بعيرين ، ومكان كل شىء شيئين فان رضوا بذلك فأعطهم وخَرّبها ، فان أبوا فانبذ إليهم وأجّلهم سنة ثم خرّبها ، فقال : اكتب لى عهداً بذلك فكتب له عهداً ، فلما قدم عمر عليهم عرض عليهم ذلك فأبوا ، فأجلهم سنة ثم أخَرّبها . قال أبو عبيد : وهذه مدينة بالثغر من ناحية الحدث يقال لها عرب سوس وهى معروفة هناك — ومعروفة لعهدنا بهذا الاسم أيضاً — وقد كان لهم عهد فصاروا إلى هذا . وإنما نرى عمر عرض عليهم ما عرض من الجلاء ، وأن يُعْطَوْا الضعف من أموالهم ، لأنه لم يتحقق ذلك عنده من أمرهم ، أو أن النكث كان من طوائف منهم دون إجماعهم ، ولو أطبقت جماعتهم عليه ما أعطاهم من ذلك شيئاً إلا القتال والمحاربة ، وقد كان نحوٌ من هذا قريباً الآن فى دهر الأوزاعى بموضع بالشام يقال له جبل لبنان ، وكان ناس من أهل العهد فأحدثوا حدثاً ، وعلى الشام يومئذ صالح بن على فحاربهم وأجلاهم ، فكتب الأوزاعى فيما ذكر لنا محمد بن كثير برسالة طويلة منها : « قد كان من أجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان ، مما لم يكن تعالاً عليه خروج من خرج منهم ، ولم تُطبِق عليه جماعتهم ، فقتل منهم طائفة ورجع بقيتهم إلى قراهم . فكيف تؤخذ عامة بعمل خاصة فيخرجون من ديارهم وأموالهم . وقد بلغنا أن من حكم الله جل وعز أنه لا يأخذ العامة بعمل الخاصة ولكن يأخذ الخاصة بعمل العامة ، ثم يبعثهم على أعمالهم ، فأحق ما اقتدى به ووقف عليه حكم الله تبارك وتعالى ، وأحق الوصايا بأن تحفظ وصية رسول الله (ص) ، وقوله : من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه ، ومن كانت له حرمة فى دمه فله فى ماله والعدل عليه مثلها ، فانهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد فى سعة ، ولكنهم أحرار أهل ذمة الخ » . وكتاب الأوزاعى

هذا نقله البلاذرى فى فتوح البلدان مع اختلاف يسير

وهكذا يمضى المؤلف فى تأليفه ومعالجة فصول كتابه الممتع . يأتى بالآثار المشهورة الصحيحة على مثل هذه الطريقة السهلة ، وفيها جل من الأحكام التى استخرجها الحكام بعد عهد صاحب الشرع الأعظم . وقد أورد كثيراً من الكتب والمعاهدات والعقود والاقطاع ، وذكر فصولاً فى الصدقات والغنائم والزكوات وثمار الأرضين وما يجبى منها ومالا يجبى والمعادن والركاز والمكاييل والمكوس والعشور ومخارج الصدقة وسبيلها التى توضع فيها والوقف ، إلى غير ذلك من الأبواب بحيث لم يترك شيئا مما يحتاج اليه من يريد الوقوف على أحكام كل ذلك فى الاسلام ، وإن كان أكثره ، ويا للأسف أصبح يتلى اليوم للعلم به فقط ، أو التبرك بسيرة السلف الصالح وتردداه لمعرفة تاريخ تشريعهم

ومما قال فى اسقاط الجزية عمن أسلم : وإنما احتاج الناس إلى هذه الآثار ( عن الصحابة وغيرهم ) فى زمن بنى أمية ، لأنه يروى عنهم أو عن بعضهم أنهم كانوا يأخذونها منهم وقد أسلموا ، يذهبون إلى أن الجزية بمنزلة الضرائب على العبيد ، يقولون فلا يسقط اسلام العبد عنه ضريبته ، ولهذا استجاز من استجاز من القراء الخروج عليهم ، وقال إن عمر بن عبد العزيز فرض على رهبان الديارات على كل راهب دينارين ، ولا أرى عمر فعل هذا إلا لعلمه بطاقتهم له ، وأن أهل دينهم يتحملون ذلك لهم ، كما أنهم يكفونهم جميع مؤوناتهم ؛ وقال إن رسول الله (ص) استحل دماء بنى قريظة لمظاهرتهم الأحزاب عليه ، وكانوا فى عهد منه ، فرأى ذلك نكثاً لعهدهم وإن كانوا لم يقتلوا من أصحابه أحدا ، ونزل بذلك القرآن فى سورة الأحزاب ، قال وكذلك آل أبى الحقيق رأى كتمانهم إياه فاشترطوا له ألا يكتموه نكثاً ، وقد حكم بمثل ذلك عمرو بن العاص بمصر

وقال فى القريات التى أقطعها الرسول لتميم الدارى فى فلسطين : إنها أرض معمورة لها أهل فانما ذلك على وجه النفل له من رسول الله (ص) ، لأن هذا كان قبل أن تفتح الشام ، وقبل أن يملكها المسلمون ، فجعلها له نفلا من أموال أهل الحرب إذا ظهر عليها ، وهذا كفعله بابن بقيلة عظيم الحيرة حين سأله إياها الشيبانى ، فجعلها له بمثل افتتاح الحيرة ، فأمضاها له خالد ابن الوليد حين ظهر عليها ، وكذلك امضاء عمر لتميم حين افتتح فلسطين . ومما قال فى الأقطاع : « وأما إقطاع أبى بكر طلحة وعيينة ، وما كان من انكار عمر ذلك وامتناعه من الختم عليه ، فلا أعلم له مذهبا إلا أن يكون رأى عمر أنه كان يومئذ يكره الأقطاع ولا يراه ، ألا تسمع قوله لطلحة : « أهذا لك دون الناس » ثم رأى بعد ما أفضى الأمر اليه غير ذلك ، فقد علمنا أنه قد أقطع غير واحد فى خلافته ، وهذا كالرأى يراه الرجل ثم يتبين له الرشد فى غيره فيرجع اليه ، وهذا من أخلاق العلماء قديما وحديثا »

ومما قال فى السبب الذى دعا إلى ضرب الدراهم : قال أبو عبيد : سمعت شيخا من أهل العلم بأمر الناس ، كان معنياً بهذا الشأن ، يذكر قصة الدراهم وسبب ضربها فى الاسلام ، وقال : إن الدراهم التى كانت نقدَ الناس على وجه الدهر لم تزل نوعين : هذه السود الوافية ، وهذه الطبرية المُسْتَق ، فجاء الاسلام وهى كذلك ، فلما كانت بنو أمية وأرادوا ضرب الدراهم نظروا فى المواقب فقالوا : إن هذه تبقى مع الدهر ، وقد جاء فرض الزكاة « إن فى كل مائتين أو فى خمس أواقٍ خمسة دراهم » والأوقية أربعون ، فأشفقوا إن جعلوها كلها على مثال السود ؛ ثم فشا فشواً بعد لا يعرفون غيرها ، أن يجعلوا معنى الزكاة على أنها لا تجب حتى تبلغ تلك السود العظام ، مائتين عدداً فصاعداً ، فيكون فى هذا بخس للزكاة ؛ وأشفقوا إن جعلوها كلها على مثال الطبرية أن يجعلوا المعنى على أنها إذا بلغت مائتين عدداً حلت فيها الزكاة ، فيكون ذلك اشتطاطاً على رب المال ، فأرادوا منزلة بينهما يكون فيها كمال الزكاة من غير اضرار بالناس ، وأن يكون مع هذا موافقا لما وقت رسول الله (ص) فى الزكاة ؛ إلى أن قال بعد شرح ما عملوه بشأن الدراهم : فمضت سنة الدراهم على هذا واجتمعت عليه الأمة فلم تختلف أن الدرهم التام هو ستة دوانيق ، فما زاد أو نقص قيل درهم زائد أو ناقص ، فالناس فى زكاتهم بحمد الله ونعمته على الأصل الذى هو السنة والهدى لم يزيغوا عنه ولا التباس فيه ، وكذلك المبايعات والديات على أهل الورق ، وكل ما يحتاج إلى ذكرها فيه ، هذا

كما بلغنا ، أو كلام هذا معناه اهـ »

ومما روى فى صدقة الحلى من الذهب والفضة : « إن عبد الله ابن عمرو حلّى ثلاث بنات له بستة آلاف دينار ، فكان يبعث مولى له جليداً كل عام فيخرج زكاته منه » ، ومما قال : « وشرائع الاسلام أمهات لا يقاس بعضها ببعض ، لأن لكل واحدة حكماً غير حكم الأخرى » ، ونقل كثيراً من كتب عمر بن عبد العزيز تأييداً للأحكام التى وردت فى القرآن وفسرتها السنة ، وكان عمل الراشدين ومن بعدهم سنة متبعة فى الأموال ، ومنها كتب عمر بن عبد العزيز : أن اقضوا عن الغارمين ، فكتب إليه : إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث . فكتب عمر : لابد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، ومن أن يكون له الأثاث فى بيته ، نعم فاقضوا عنه فانه غارم »

ويغتبط قارئ كتاب الأموال أن يرى نور العقل يتخلل كلام أبى عبيد ، وأن يقرأ فيه صورة جميلة من تأليف القوم فى القرن الثانى وأوائل الثالث بهذه البلاغة الخالية من التكلف . ولو كتبت العلوم الاسلامية كلها على المثال الذى كتب به علماء القرون الأولى لاقتصرت على طالبها طرق التعليم . ولنجا الناس من استظهار تلك الدساتير التى جمد من اقتصر عليها ، وسار من تفلت من قيودها سيراً متساوقاً وصل به إلى الغاية ، ويشبه كتاب الأموال فى تأليفه تأليف يحيى بن آدم فى الخراج ، ولا يشبه كتاب الخراج لأبى يوسف بأسلوبه ، لأن هذا عبارة عن رسالة شرعية سياسية إدارية كتبها إمام عظيم لامام عظيم فى إصلاح مملكته ، وأورد له الأحكام للتدليل على ما يقول ، ولم يكتبها للتعليم والتفقيه ، وفى كتاب الأموال كثير من الفصح والشوارد اللغوية وألفاظ يمكن إحياؤها وهى اليوم منسية أو فى حكم المنسى

ويسرنى أن ناشر كتاب الأموال الأستاذ محمد حامد الفقى هو من علماء الازهر ، وقد جوّد فى التصحيح والتعليق عليه ، وإيراد الروايات المختلفة ، وطبعه على نسختين مصرية وشامية ، على ما كان وقف على طبع غيره مثل : « تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول » لابن الديبع الشيبانى ( ٩٤٤ هـ ) ، ويلاحظ أنه كان من المفيد للكتاب لو أن ناشره الأستاذ الفقى وضع له فهارس على نحو ما فعل الأستاذ أحمد محمد شاكر لما أعاد نشر كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى ، فانه حلاه بالفهارس على مثال علماء المشرقيات عندما يعانون نشر كتبنا ، فيقربون فوائدها بما يؤلفون لها من فهارس بأسماء الرجال والبلدان وغير ذلك ، وقد يضعون للكتاب الواحد خمساً أو سبعاً من الفهرستات المختلفة تيسيراً على القارئ ، وهذا ما بدأت به دار الكتب المصرية فى مطبوعاتها من الأمهات المعتبرة التى تتحف بها العالم العربى الحين بعد الآخر

محمد كرد على


# مدارس الدواوين

المدرسة الثانوية ( كفاءة — بطالوريا )

بشارع نوبار رقم ٨ تليفون ٤٠٨٠٤

المدرسة الابتدائية

بشارع نوبار رقم ٥٩ و ٦١ تليفون ٤٢٨٣٩

تقدم الطلبات على استمارة تصرف من إدارة المدرستين

المدرسة الابتدائية

١ — الكشف الطبى : ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥
٢ — امتحان الدور الثانى والقبول : ٧ » » »
٣ — بدء الدراسة : ١٤ » » »

المدرسة الثانوية

١ — الكشف الطبى : ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣٥
٢ — امتحان الدور الثانى والقبول : ٢١ » » »
٣ — بدء الدراسة : ٢٨ » » »

# الدليل العراقى

موسوعة سنوية عن المملكة العراقية والبلاد العربية المجاورة

يصدر باللغتين العربية والانجليزية

محل نشر للطبع والنشر

تحت إشراف

وزارة الداخلية العراقية

الإدارة : شارع المأمون ٣٢/١١

بغداد - العراق